

منتصر أمين



رواية

شقاء أخير





— رواية —

سِنَاءُ أَخِيرٍ مُنْتَصِرٍ أَمِينٍ

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



— رواية —

سِنَاءُ أَخِيرٍ مُنْتَصِرٍ أَمِينٍ

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



هل شعرت من قبل أن حياتك تحولت إلى
شيء لم تكن تتخيله؟!..
لا تفرغ.. فالخوف لن يصيبك..
فقط بعض القلق، ومعك ستجسد كل خطاياك..
لا تتراجع وأمل دربك، ستكتشف الحقيقة..
لا أهد حينها يتصور ما فعلته..
لا أهد على الإطلاق..

مُنْتَصِرِ آمِينَ



ما الحياةُ إلا حلمٌ باهتٌ لربيعٍ مَيِّتَةٍ هاجِعةٍ؛
فالأشياء ليست كما تبدو!..

(هنري وادسورت لونغفيلو)



(١)

طنين فظيع دوى في أذنيها، سيطر على كل حواسها حتى باتت لا تسمع سواه.. أغمضت عينيها في ألم وهي تحاول مقاومة ذلك الدوار المخيف الذي عصف برأسها، أخل بتوازنها.. استندت بكفها على طرف المكتب وهي تقاوم السقوط على الأرض.. فتحت عينيها بصعوبة، كانت الرؤية أمامها مضطربة.. إهتزت كل الأشياء أمام ناظرها.. أحست أن الأرضية الخشبية تتشقق من تحت أقدامها، والسقف ينهار أعلى رأسها.. جرت على أسنانها حين بدأت تصطك، وضغطت عليها بقوة حين ضرب الألم فكها.. ومعه بدأ ظلام كثيف يغشى رؤيتها..

”إنت كويسة؟!، قلقتييني..“

إنبتهت حين سمعت تلك العبارة، لكنها لم تجب من شدة الألم، إكتفت بإيماءة خفيفة من رأسها..



”لسه مش عارفه تنامي؟!“..

بلعت ريقها بصعوبة لتقاوم جفاف حلقها ثم أجابت
بحدة، وهي تمسك برأسها من شدة الألم:

- إنتِ عارفة ايني مش بنام.

- لسه بتحييه?!!

إزدادات حدة الطنين ومعه إزداد الألم في رأسها، فقالت
بصوت خرج مرتجفاً من بين أسنانها التي كانت تصطك
بعنف:

- السؤال هو، إنتِ بتحييه?!!

لم يأتها رد، فقط ضحكة هازئة.. قالت وهي تكافح
الألم الفظيع الذي تملك كل كيائها، وتلك الرعشة القوية
التي إجتاحت جسدها:

- بلاش تعملي كده، أرجوكي.

كان الصمت هو الجواب مجدداً.. بدأ الظلام يسيطر
على عالمها فانتفض جسدها في عنف، أردفت قبل أن
تسقط متهاوية:

- هتندمي.



جلس المقدم "معتز الشامي" في مكتبه بقسم شرطة قصر النيل شارداً.. كانت الأيام القليلة الماضية قد حملت له من المفاجآت ما عجز عقله عن تصديقه.. تغيرت معها قناعات كثيرة كان قد رتب حياته على الإيمان بها.. أطفأ سيجارته بغضب في مظفأة معدنية إمتلأت عن آخرها بأعقاب السجائر.. أسند مرفقيه على المكتب ثم دفن وجهه بين راحتيه، أغمض عينيه في يأس وهو لا يدري ما القرار الذي يجب عليه إتخاذہ..

سمع صوت طرقتين مهذبتين على الباب، دخل في عقبهما أحد العساكر يرتدي زيًا مدنيًا ووقف أمامه في إحترام شديد.. وضع جرائد الغد أمامه بعد أن أدى له التحية ثم انصرف في خطوات سريعة.. تأمل "معتز" الجرائد لوهلة ثم أمسك بها يقرأ عناوينها الرئيسية دون أدنى إكتراث.. كانت الأخبار مكررة كالعادة، لا جديد فيها..

إتسعت عيناه حين وقعتنا على خبر مكتوب في أسفل الصفحة الأولى من جريدة "الأهرام" كعنوان رئيسي بخط واضح:

"نجحت مباحث القاهرة بقيادة المقدم/ معتز الشامي في كشف غموض قضية مقتل الفنانة/ صفاء عبد الحميد، بعد أن صدرت التعليمات من قيادات مديرية أمن القاهرة



تم تشكيل فرق بحث جنائي حققت في كل ملابسات الجريمة. توصلت المصادر السرية إلى معلومات مفادها تورط طبيب نفسي، كانت الفنانة تتردد على عيادته، في قتلها. بعد الحصول على إذن النيابة المختصة.....”

لم يكمل ”معتز“ قراءة الخبر، رن هاتفه الداخلي فرد صائحًا وقد تملكه الغيظ:

- أنا مش قلت مش عاوز إزعاج.

صمت لوهلة يستمع لصوت محدثه ثم ألقى بالجريدة على المكتب، وتسارعت أنفاسه بشكل لاهث.. أغمض عيناه في ألم وهو يقول في حزن:
”مش ممكن!!“.

أمسك مفاتيح سيارته سريعًا، وغادر مكتبه متجهًا إلى طريق مصر الأسكندرية الصحراوي.. طوال الطريق لم يتوقف عقله عن العمل لحظة واحدة.. لم يشعر بتلك السرعة المخيفة التي أشار إليها مؤشر عداد السرعة، لم ييال بالرؤية التي كانت شبه منعدمة نتيجة الأمطار الغزيرة ولا بالطريق الذي أصبح زلغًا.. كان يفكر كيف يمكن أن تتسارع الأحداث وتتطور حتى تصل إلى تلك الدرجة من العبث..



أوقف سيارته فجأة، بعد أن قطع المسافة في زمن قياسي، أمام السور الضخم لتلك المصححة الشهيرة.. يزين مدخلها لافتة دعائية ضخمة، مضاءة بنور مبهر، كتب عليها بخط أنيق (مستشفى د. هشام وهدان للصحة النفسية).. بالرغم من صوت الرعد الذي كان هزيمه يدوي بعنف في تلك الليلة الشاتية الغزيرة المطر إلا أن صوت توقف السيارة كان مسموعاً.. كان الصوت مرتفعاً حاداً بدد الهدوء المعروف عن تلك المنطقة الصحراوية النائية بعد أن ضغطت قدمه بعنف على دواسة الفرامل.. هبط من السيارة بسرعة، وجال ببصره يفتش في المكان من حوله.. بصعوبة أبصر سيارة "أكرم رشدي" تقف في الظلام، بالقرب من نهاية الشارع الجانبي قبل السور المرتفع للمصححة.. وعلى مسافة قريبة منها تقف سيارة بدا لونها الأزرق باهتاً، خمن أنها تخص "ليلى".. إختلس النظر داخل السور، كان المكان غارقاً في ظلام يماثل تلك العتمة التي سيطرت على الأجواء.. فقط القليل من أضواء باهتة تناثرت في أنحاء مختلفة من المصححة، ضوء بعيد بدا واضحاً في مبنى متطرف منعزل، عند الطرف الجنوبي للمكان..



توترت عضلات وجهه حين تحسس سلاحه الميري في جانب بنطاله الأسود، تحرك نحو مدخل السور في حذر إكتسبه من سنوات عمله بالمباحث.. وجد الباب الحديدي الضخم مغلقًا بإحكام، الحراس محتمون بغرفتهم توقيًا للبلل.. دار دورة كاملة حول السور المرتفع حتى وجد نقطة تصلح لتسلقها، قفز إلى الجهة الأخرى في رشاقة لا تتناسب مع جسده الضخم.. وارتسمت على وجهه علامات الإرهاق الشديد بعد أن أمضى يومه كله في العمل..

تحرك بخطوات حذرة نحو الطرف الجنوبي، صوب المبنى المنعزل.. تفحصه جيدًا، كان المبنى أشبه باستراحة خاصة من طابقين.. أبصر ضوءًا في واحدة من غرف الطابق العلوي.. دنا من باب المبنى الزجاجي، المزين بنقوش ورسومات أنيقة.. وجده مفتوحًا فدخل على الفور بعد أن سحب سلاحه، أمسك به في يده.. كان السكون مسيطرًا على الأجواء بصورة مقلقة، دارت في رأسه الهواجس والظنون حين تذكر ما آلت إليه الأمور منذ أن تولى أمر هذه القضية..

إنتهى على صرخة أنثوية هائلة، شق صوتها حاجز السكون تأتي من الطابق العلوي.. تحرك في خفة وسرعة



نحوها، أخيره حدسه أنه صوت "ليلي" .. صعد درجات السلم الرخامي وقد بلغ منه التوتر أقصى درجاته.. بالرغم من البرودة الشديدة التي كانت تسود الجو إلا انه شعر بسخونة غريبة تسري في جسده، وتجمعت فوق جبينه حبات من العرق.. تحرك على أطراف أصابعه في ممر طويل، على جانبيه غرف موصدة الأبواب.. إلتزم الصمت تمامًا، يحاول إستراق السمع لتحديد مكان الصرخة..

أتاه صوت بدا خافتًا في البداية من غرفة مغلقة في نهاية الممر، اقترب منها بخطوات حذرة.. كلما إقترب أكثر زاد الصوت وضوحًا.. لم يتبين منه سوى كلمات متفرقة غاضبة..

- هقتلك، هقتلك.

تحرك سريعًا نحو الباب يحاول فتحه، لكنه كان موصدًا من الداخل بإحكام.. ألصق أذنه بالباب فسمع بصعوبة..

- بلاش، أرجوك بلاش.

- بلاش إيه بالضبط.؟

- بلاش موت.

- مش ممكن أسمع....



انتفض جسده حين شق سمعه دوي طلق ناري في
الغرفة، اندفع معه "معتز" على الفور يطرق على الباب
بقوة صارخًا:

- إفتحوا الباب.

لم يجد جوابًا فأخذ يركل الباب بقدمه بعنف شديد،
ثم اندفع بكتفه نحوه بكل قوته.. فجأة، تردد في فضاء
المكان دوي طلقة ثانية..

معها إنهار الباب تحت ثقل جسده..

دخل "معتز" الغرفة فتسمر في مكانه، واقشعر
جسده.. اعتراه الذهول، سالت الدموع من عينيه..



قبل أربعة أيام..



... اليوم الأول ...

إنني أحببت ضففاً انتم كل اهتمامك ..
فغير يوم قريب قد لا تجده إلى جوارك ..

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



(٢)

داعبت أصوات خافتة أذنيه فأقلقت نومه، فارق
النعاس عينيه المنهكتين ففتحهما في بطء شديد مشوب
بالحذر.. إعتدل "أكرم رشدي" فوق فراشه رافعاً عنه
الغطاء الصوفي الذي كان يلتحف به فصدمه تيار بارد من
الهواء، يناسب الجو القارس المميز لشتاء يناير.. كان الليل
مايزال يسدل أستاره على الأجواء فحاول أن يركز بصره
ليخترق حجب الظلام التي تجمعت أمام عينيه، لكنه لم
يتمكن.. فقط كان جل ما استطاعه أن يحاول الإنصات
لهذه الأصوات الخافتة..

بعد فترة قصيرة تمكنت أذناه من تمييز صوت ضحكة
طفولية صغيرة أشرق ل صداها روحه، لكن في نفس الوقت
إنتابه إحساس غامض بالخوف الشديد فور سماعها،



خوف لا يعلم له سببًا.. دفعه ذلك الخوف إلى توخي المزيد من الحذر، فتحرك على أطراف أصابعه في إتجاهها.. خارج غرفته كان هناك ممر طويل يوجد في نهايته غرفة لها باب مغلق، من جهته يصدر الصوت.. لم يكن الباب مغلقًا بالكامل بل كان مواربًا فقط، يسمح بخروج الصوت من الغرفة وكذا بصيص من نورها يكفي لإضاءة الممر..

تحرك ببطء شديد يجر قدماه في إتجاه باب الغرفة، كأن أقدامه مربوطة إلى الأرض بحجر ثقيل.. توقف في منتصف المسافة بعد أن سمع تلك الضحكة الطفولية مجددًا تتردد في فضاء المكان.. تلفت حوله لكنه لم يجد لمصدرها أي أثر..

أكمل سيره مقتربًا من الباب أكثر فأكثر.. ومع إقترابه كان قلبه يخفق بشدة ويعلو صوت دقاته، حتى كادت تلك الدقات أن تشكل إيقاعًا متجانسًا مع وقع خطواته المتجهة إلى الغرفة.. حاول أن يختلس النظر مستغلًا تلك الفرجة البسيطة في الباب عليها تسمح له بالرؤية، لكنها لم تكن كافية..



فجأة سمع صوت صراخ أنثوي يدوي عاليًا داخل
الغرفة، استجمع شجاعته وأمسك بمقبض الباب بيد
مرتعشة.. وبدأ في دفعه ببطء شديد.. و..

إنتفض جالسًا على فراشه والعرق الغزير يتصبب من
جسده.. كابوس جديد كتلك التي إعتادت أن تقلق منامه
كل ليلة في الأونة الأخيرة.. تلفت حوله في قلق حين سمع
"ليلي" زوجته تسأله في لامبالاة:

- كابوس برضه؟!..

إلتفت نحوها بحدة بعد أن إغتاظ من سؤالها
السخيف.. كانت تنظر له من أسفل جفنيها المتتاقلين،
مايزال النعاس يسيطر عليهما فبات منظرهما غريبًا.. لا
هما بالملتوحين ولا بالمغلقين، فقط جفنان منتفخان يصدر
من خلفهما نظرات جامدة لا أثر فيها للحياة.. حالة
عجيبة من اللامبالاة والتبلد انتابت زوجته مؤخرًا، كانت
تسبب له ضيقًا منها كدأبها حيال كل الأمور في الفترة
الأخيرة.. تجاوز تلك المشاعر السلبية التي إجتاحتها دفعة
واحدة حين سمع صوتها، وحاول أن يجعل الحوار بينهما
عاديًا فسألها:

- خدي الدوا بتاعك؟!..



- أُمال يعني أنا خِلقتي كِده.

أيقن أنه لا فائدة من الحوار معها فأثر السلام، وانتفض من الفراش مغادرًا غرفة النوم نحو الشرفة عسى أن يساعد هوائها البارد على تصفية ذهنه.. توقف في منتصف الممر الموصل لها حين سمع صوت نفس الضحكة الطفولية يصدر من غرفة مغلق بابها باحكام منذ فترة.. هم بأن يفتحه لكنه عدل عن رأيه في اللحظة الأخيرة بعد أن شعر بغصة مؤلمة في حلقه فأكمل الطريق نحو الشرفة..

وقف يستمتع بلسع الهواء البارد في وجهه ورقبته ثم أشعل سيجارة أخذ يستمد من دخانها قليل من الدفء.. كان النعاس قد فارقه تمامًا فتداعت أمامه ذكريات وأفكار عديدة..

فكر في "ليلي" التي لم يعد بينهما وفاق من أي نوع بعد أن كانت حياتهما هادئة، يتحاكى الناس بحسن عشرتهما.. سأل نفسه كثيرًا هل أحبها؟!، أم أنه كان فقط التعود؟!..

كانت له فلسفة خاصة في شأن الحب.. كان مقتنعًا في قرارة نفسه أنه لا وجود لما يسمى بالحب، لكنه فقط الاعتياد.. فالرجل يتعود على امرأة معينة حتى تتأصل فيه



تلك العادة، فيظن أنه يحبها.. تمامًا كالسجائر، فما الفرق بين من يدخن "المارلبورو" ومن يدخن "الميريت"؟!.. لاشئ على الإطلاق، فقط التعود.. حتى أننا حين نتحدث عن تلك العادة نقول أننا نحب السجائر ماركة كذا ولا نقول أننا نعتاد عليها.. إرتسمت على شفثيه إبتسامة واسعة وهو يسحب نفسًا عميقًا من سيجارته ثم ينفثه في قوة مراقبًا تراقص دوائر دخانه أمام عينيه، كان معجبًا بتحليله للأمور..

لكن مشكلته كانت تكمن في أنه رجل متعدد الأذواق.. فتارة تعجبه "المارلبورو" وتارة أخرى تفتنه "الميريت"، وأحيانًا تشتاق نفسه إلى "الكليوباترا".. وكذا كان حاله مع النساء، مرة يصحب الشقراء الراقية، أخرى بيضاء مثقفة، ولا يوجد أدنى مانع من أن تكون سمراء شعبية.. لايهم، فقط هو يحب النساء.. ليس كلهن بالطبع، فقط صاحبات تلك المواصفات التي حددها بدقة شديدة..

كان يفضلها أربعينة متوسطة الطول والقوام، أرملة أو مطلقة أو حتى متزوجة.. يشترط فقط ألا تكون عذراء.. لها شعر ناعم قصير أيًا كان لونه، أما عن باقي التفاصيل فلم تكن تسبب له مشكلة من أي نوع.. فقد كان مؤمنًا أن كلهن متساويات في نهاية الأمر، لا فرق بين قبلة



إحداهن وأخرى.. كان دائماً ما يفخر بقوله أمام أصدقائه
"إجعل الإضاءة خافتة أو اطفئها تماماً، عندها تتساوى كل
الأمور"..

هز رأسه في عنف طارداً عنها تلك الأفكار العابثة
التي ضربت عقله في هذا التوقيت الغريب، وعاد يفكر
في "ليلى" مجدداً.. كان يعلم أنه يحترمها ويقدرها فهي
المرأة الفاضلة الوحيدة في حياته، كان ذلك كافيًا بالنسبة
إليه كي يتزوجها.. لكنه أبداً لم يشعر معها بتلك الشرارة
التي كان يشعر بها مع غيرها..

"ما الذي غير الحال في الفترة الأخيرة؟!، لم أفقد حتى
هذا الإحترام نحوها؟!.." سأل نفسه كثيراً دون أن يجد
إجابة..

من جديد سمع تلك الضحكة الطفولية فالتفت خلفه
سريعاً لكنه لم يجد أحداً.. قطب جبينه في ضيق، كان يعلم
بحكم تخصصه أنه يعاني من جراء صدمته الأخيرة.. يدرك
أنه مريض بحاجة إلى العلاج، لكنه كان في ذات الوقت ينكر
قدرة أحد على شفاءه.. كان يعلم بحكم خبرته الطويلة
أن أصعب أنواع المرضى هو المريض المثقف، حيث يصور
له غروره قدرته على علاج نفسه من أي عارض يلزم بها..
فكيف يكون الحال إذا كان المريض طبيباً نفسياً؟!..



أغمض عيناه في ألم بعد أن ضربته ذكرى ذلك الحادث الذي سبب له تلك الهلاوس والأوهام، ثم فتحهما في قوة وهو يدهس بقدمه بقايا سيجارته على الأرض.. تذكر ذلك الحوار الذي دار بينه وبين "ليلى" بالأمس حين كانت تحاول إقناعه بالذهاب إلى زميل دراستهما الذي أصبح طبيباً نفسياً مرموقاً الآن، الدكتور "هشام وهدان" .. لا يذكر عنه الكثير سوى أنه كان سمجاً لزجاً، ينافسه على الفوز بقلب "ليلى" .. لكنها إختارته هو في النهاية بالرغم من عدم خوضه لغمار هذه المنافسة لإيمانه بأنه لا توجد فتاة تستحق الصراع من أجلها.. كان مبدأه الذي لا يحدد عنه، لا ينفك يردده دومًا:

"إذا إحتار قلبك في الإختيار بيني وبين غيري، لا تختاريني" ..

زفر في ضيق ثم غمغم وهو يغادر الشرفة:

- حسنًا يا دكتور، فلنلهو سوياً قليلاً.. وليفز الأفضل.

وقف "أكرم" أمام المرأة الضخمة لدولاب ملبسه طويلاً.. يتأمل هيئته بعد أن شارف على بلوغ الأربعين، كانت قد اختلفت كثيراً عما مضى.. فبعد صدمته الأخيرة



أهمل في مظهره، وأصبح لا يكثر بتصفيف شعره خصوصاً بعد ظهور تلك الشعيرات البيضاء فيه.. فقد شغفه القديم بالإهتمام بهندامه بعد أن كان يقضي وقتاً في إختيار الألوان المتناسقة.. أصبح ينسى حلاقة ذقنه التي كان يهتم بها صباح كل يوم.. حتى جسده الذي يحرص عليه فكان رياضياً ممشوقاً ظهر فيه بروز خفيف عند البطن.. لوى "أكرم" شفته السفلى في امتعاض ثم نظر لساعة يده، كان موعده مع الدكتور "هشام وهدان" في تمام الخامسة مساءً..

مازالت أمامه فسحة من الوقت، قرر أن يلبي طلب واحدة من مرضاه القدامى حادثه صباح اليوم لتحديد موعده.. وجد أنها فرصة جيدة للمرور على عيادته التي أغلقها منذ أكثر من عام، بعد أن حدث ما حدث..

نظر نحو "ليلي" التي كانت مستلقية كعادتها في الفراش، لا هي بالنائمة ولا بالمستيقظة.. عيناها مستقرتان عند نقطة وهمية في سقف الغرفة، لا تتوقف عن التحديق فيها.. أغمض عيناه في ضجر ثم قال:

- أنا نازل، عايزة حاجة؟.

حركت عينها ببطء شديد نحوه ثم مضت تتأمل هيئته الغير متناسقة ولم تعقب، أشاحت بوجهها عنه ثم



عادت لسيرتها الأولى تتأمل سقف الغرفة.. هز "أكرم" كتفيه في لامبالاة ثم تحرك مغادرًا الشقة.. لم يعر أدنى انتباه لصوت الضحكة الطفولية الذي عاد يرن مجددًا في ممر الشقة قبل أن يغادرها..

طوال الطريق من مصر الجديدة حيث يسكن وحتى منطقة الدقي التي تقع بها عيادته كان عقله يفكر في تلك المريضة التي مازالت تصر على التردد على عيادته.. وعلى الرغم من إيمانه الراسخ بخطأ الإعتقاد الشائع من أنه يكفي المريض الذهاب مرة أو مرتين للطبيب النفسي حتى يتم شفاؤه.. فالطبيب النفسي في رأيه أشبه برجل يحفر حفرة هائلة في نفس كل مريض كي يصل إلى أعماق نفسه ويسبر أغوارها، يعرف علته ويحاول علاجه.. وعملية الحفر هذه أو العلاج قد تستمر شهرًا وسنوات، بل قد تمتد لتكون عمرًا بأكمله.. عمر المريض، وعمر الطبيب!!..

إلا أنه كان مؤقتًا كذلك بوجود طائفة من المرضى يكثرون من التردد على العيادات النفسية لمجرد التزود بجرعة من الراحة يجدونها لدى الطبيب.. أو بدافع السعي وراء الموضة، كما هو حال عمليات التجميل هذه الأيام.. دون أن يستدعي مرضهم كل هذا التردد، بل قد لا يكونون



مرضى من الأساس، فقط هم يعانون من فراغ شديد.. مع مرور الوقت يتحول تردد بعضهم على العيادات النفسية إلى إدمان، تمامًا كإدمان الخمر أو المخدرات.. كان في غالب الأحيان لا يقبل هذه النوعيات من المرضى، غير أن بعضهم كان إستثناء.. و"صفاء عبدالحميد" كانت واحدة من بين هذه الإستثناءات..

أوقف سيارته صف ثاني أمام العمارة التي تقع بها العيادة في شارع التحرير بالدقي.. رأى عم "صلاح" البواب جالسًا على كرسي خشبي أمام مدخل العمارة يدخل سيجارة وينظر نحوه بلا إكتراث، فتحرك نحوه بعد أن وضع يده في جيبه.. انتفض الرجل العجوز من مكانه واقفًا فور أن شاهده يضع يده في جيبه وألقى بسيجارته أرضًا، ورسم على وجهه علامات ترحيب زائفة ثم صاح: - أهلاً أكرم بيه، حمدالله على السلامة يا باشا.. دي العمارة نورت والله.

نقده "أكرم" ورقة من فئة الخمسين جنيهاً فتلقاها العجوز وعيناه تلمعان بجشع واضح ثم قبلها في حنان ودفنها في جيب جلبابه البني.. صعد "أكرم" درجات السلم في هدوء تتبعه دعوات وبركات عم "صلاح"، وهو يفكر مبتسمًا أن بواب العمارة هو أهم شخصية بها.. لو



علم السكان أهمية هذه الخمسين جنيهه لأغدقوا عليه الأموال، ولأصبح البواب أغنى من أي ساكن في العمارة.. تذكر وقت أن كان طبيبًا شابًا، يصحب الفتيات لعيادته فكان عم "صلاح" يمنع صعودهم.. حتى تشاجر معه ذات يوم وهَمَّ بتعنيفه إلا أنه فوجئ به يصيح بأعلى صوته:

"هذه عمارة محترمة وسكانها ناس أفاضل" ..

ذكره بأن الست أمه حين كانت تقيم في الشقة قبل أن يحولها لعيادة لم يكن أحد يسمع لها صوتًا.. ابتسم حين تذكر ذلك الخوف والتوتر اللذان سريا في عروقه وقتها، لكن فطنته التي ورثها عن أمه جعلته يحسن التصرف فوضع يده في جيبه وأخرج ورقة من فئة الخمسة جنيهات شهق لها عم "صلاح" من الفرحة.. من ذلك الوقت وعم "صلاح" يقوم بتوصيل ضيوفه وخاصة النساء حتى باب العيادة، بل ويجلس في انتظارهن حتى يغادرن ويحرص على توديعهن وداعًا مصحوبًا بأرق العبارات والأمنيات بقضاء سهرة سعيدة.. بالطبع لم تعد تلك الخمسة جنيهات تكفي بل زادت كل فترة لتتناسب طرديةً مع زيادة الأسعار وإرتفاع سعر الدولار!!.. حتى أصبحت الخمسة جنيهات خمسون جنيهًا!!



دفع بيده باب العيادة فأصدر صريراً خافتاً يناسب تلك الفترة التي بقيت خلالها الشقة مغلقة.. ضغط على زر الإضاءة فلم تستجب له الكهرباء.. حاول معه مرة أخرى لم بلا جدوى.. خرج إلى سلم العمارة منادياً على عم "صلاح" الذي صعد السلم برشاقة لا تناسب سنوات عمره السبعين.. أخبره عم "صلاح" أن فواتير الكهرباء تراكمت على الشقة وأنه قد أرسل له أكثر من مرة دون إجابة، لم يجد محصل الكهرباء أمامه سوى أن يفصل العداد عن الشقة.. تبرم "أكرم" في ضيق، لكن عم "صلاح" كان عنده الحل كالعادة..

أخبره أنه يمكن أن يمنحه توصيلة مؤقتة ينير بها العيادة حتى يمنحه المال اللازم لسداد قيمة الكهرباء المتأخرة.. وافقه "أكرم" على الفور وهم بالدخول للعيادة لكنه سمع نحنة مهذبة من عم "صلاح".. رماه "أكرم" بنظرة حانقة ثم مد يده في جيبه وأخرج ورقة خمسينية أخرى ووضعها في قبضته.. إنهالت عليه الدعوات والبركات من فم عم "صلاح" حتى خيل إليه أنه لن يتوقف..

تركه "أكرم" متأففاً ودخل إلى العيادة على ضوء كشاف هاتفه المحمول.. من خلال ضوءه الخافت لاحظ أن كل



شئ في مكانه تمامًا كما تركه من عام بالتمام والكمال،
فقط بعض التراب والغبار المتراكم..

تحرك نحو غرفته الخاصة بعد أن ترك باب العيادة
مفتوحًا حتى يتمكن عم "صلاح" من عمل التوصيلة
المطلوبة.. نظر نحو مكتبه بتردد ثم استجمع شتات
نفسه وجلس خلفه.. أخذ نفسًا عميقًا حين تذكر أيامه
الخوالي في هذه العيادة.. ارتسمت على محياه إبتسامة
خفيفة، مد على اثرها يده فاتحًا الدرج الأيمن العلوي
من المكتب.. عبث قليلًا في محتوياته على ضوء الكشف
حتى عثر على ملف أحمر اللون مكتوب عليه "ملف
السيدة/ صفاء عبدالحميد".. فتحه أمامه ثم بدأ يقلب في
أوراقه وذكريات تعارفه عليها تلح على عقله..

قابلها للمرة الأولى منذ خمس سنوات.. في ذلك المركز
الرياضي الشهير على ضفاف نيل الجيزة، رواد هذا المركز
هم صفوة المجتمع ونجومه.. لم تكن لديه مشكلة في
تحمل تكلفة الإشتراك به، على الرغم من تكلفته الباهظة
إلا ان إيمانه بأهمية المحافظة على تناسق جسده كانت
تفوق تلك التكلفة..

في هذا اليوم كان قد أنهى تدريباته اليومية الصارمة،
التي تبدأ في تمام الثامنة من كل صباح.. أنتفخت عروقه



وبرزت عضلات صدره وذراعيه القاسية من تحت ملابسه الرياضية، أكسبه العرق المنتشر على وجهه ورقبته جاذبية أضافت لوسامته الطبيعية رونقًا خاصًا.. لم يعد باقيًا أمامه ليختتم برنامجه اليومي سوى نصف ساعة فقط يقضيها في السير على تلك الآلة المخصصة لممارسة رياضة المشي..

هناك التقاها للمرة الأولى، كانت تركز على الآلة المجاورة له بالضبط.. كان شكلها في الطبيعة أجمل بكثير عما شاهده على الشاشة.. حقًا هي تبدو أقصر قليلًا وأنحف بعض الشيء.. إلا أن بياض بشرتها كان بالفعل ثلجيًا، وشعرها القصير كان حقًا أحمر.. تشاغل عن متابعة فتنها الأخاذة بالركض بعد أن كان يخطط لممارسة المشي، غير أن عينيه خانتاه بعد برهة قصيرة وأخذتا تختلسان النظرات لرجرجة جسدها البض أسفل ملابسها الرياضية الكاشفة.. كان جسدها ساحرًا بحق تشعر حين تراه برغبته العارمة في الإنطلاق، كأنها مهرة برية جامحة تبحث عن حريتها.. تناسق ساقاها مع إستدارة رديفها ترى فيهم مدلول كلمة الإعجاز، كأن جسدها منحوت بيد أمهر نحاتي العالم بأسره..

أخذت نظراته تستكين على مفاتها شيئًا فشيئًا، كان ذلك كافيًا لأن يشرد ذهنه عن متابعة حركة قدميه على



آلة المشي فسقط متعثراً من فوقها.. اعتراه حرج بالغ حين حاول النهوض، بقي رأسه منكساً لا يجروء على مواجهة أعين رواد المركز المتطفلة.. إنتبه على يد رقيقة تمتد لكي تعاونه على النهوض، سمع صوتاً أنثوياً رائقاً يخاطبه:

- ولا يهتمك مايقع إلا الشاطر.

رفع رأسه صوب محدثته دون أن يعقب، تحامل على نفسه حتى وقف دون أن يستعين بيدها.. بادرتة قائلة:

- إنت بقى الدكتور أكرم رشدي؟!!

- حضرتك تعرفيني؟!!

سألها بتعجب، فأردفت في دلال:

- طبعاً، هو في حد يشوف القمر ده وما يحاولش يعرفه.

باغته أسلوبها الهجومى وشعر بالدماء الحارة تندفع إلى وجنتيه، لكنه لم يستسلم لها فحاول التماسك أمامها ليظهر أنه مجرب خبير فقال:

- هو في قمر ممكن يتشاف جنب الشمس؟!!



أطلقت ضحكة رنت في أرجاء المركز وتراقصت معها قلوب رواده، رمته بنظرة ناعسة من عينيها الزرقاوتين ثم قالت:

- طيب ابقى خللي بالك بعد كده، اللي يبص للشمس كثير ممكن يعمى.

تعددت لقاءاتهما بعد ذلك اليوم كثيراً، توطدت علاقتهما فقد كان إعجابهما متبادلاً.. فعلى الرغم من فارق العمر بينهما الذي يجاوز سبع سنوات، لم تجد هي أدنى حرج في صحبته.. أما هو فلم يكن يعي ما يفعله، فقط كان منساقاً وراء إعجابه بها دون أن يجد له مبرراً.. أكثرت من زيارته في عيادته تشكو له من معاناتها مع زوجها السابق، الذي كان لا يرى فيها سوى وجه جميل وجسد يشتهي للمتعة على فترات متباعدة.. حكّت له عن طلاقها منه بعد أن ضبطته متلبساً بخيانتها.. شكت له إحساسها الفظيع بالوحدة، شعورها البغيض بالحرمان.. أخبرته بكل حواسها أنها تعاني من فراغ شديد..

كان يعلم بحكم مهنته معنى تلك النظرات اللامعة التي ترميه بها حين ينفردان في حجرة مكتبه، يدرك أنها فطنت لسقوطه أسيراً في شرك جسدها الساحر.. كان موقناً من أنها نجحت في قراءته وفك طلاسمه، تماماً كما كان



يحاول هو أن يفعل.. لم يكن يصدق نفسه، ولم يدر ماذا يفعل؟!.. كان يحاول الهرب من شراكها دومًا بالتقليل من قدر نفسه في حديثه معها، لكنها كانت دائمًا تقول بنبرة صادقة:

- بلاش تواضع، أكيد انت عارف قدرك كويس.

لم يستطع مقاومة فتنتها كثيرًا فاستسلم صاغرًا، وفي نهاية الأمر ألقى بنفسه في أحضانها الدافئة.. حين قبلها أول مرة كانت قبلته هادئة تحمل خوفًا ونهمًا في وقت واحد.. أزاحته من فوق شفيتها برفق ثم قالت ضاحكة:

- انت محتاج دروس كثير على فكرة.

لم يفهم معنى عبارتها في ذلك الوقت، لكنه الآن يعلم أنها قد لقتنه من فنون الحب ما قد تعجز كبرى الجامعات والمدارس عن تعليمه..

إنتبه من شردوه وأفكاره حين أضاءت غرفة المكتب فجأة، تلفت حوله مندهشًا من قدرات عم "صلاح" التي تفاجئه على الدوام.. سمع حركة خافتة عند مدخل العيادة، بعد وهلة ظهرت "صفاء" تقف على باب غرفة مكتبه.. تميل قليلًا بنصفها العلوي فيظهر نهداها بارزين



خارج قميصها المفتوح.. ترجع برأسها للوراء قليلاً فتهتز
خصلة حمراء من شعرها الناعم ثم تقول في غنج:

- انت هتفضل قاعد عندك كتير.

ارتفعت حرارة جسده وفارت دماؤه فيه فاندفع
نحوها حتى وقف أمامها يتأمل بديع خلقتها، فجأة رفع
كفه ثم هوى به على وجهها في قوة.. تأوهت في ميوعة
ثم قالت:

- وحشتني يا طفلي العنيد.

صفعها مرة أخرى فتأوهت مجدداً، مد يده يجذبها
نحوه فشعر بها تلين بين ذراعيه مرتمية في صدره القوي..
تناول شفيتها المكتنزتين ناهلاً منهما ما لم يشبع منه أبداً..



(٣)

كانت عقارب ساعة يد "أكرم" قد أشارت إلى تجاوزها الخامسة والنصف حين أوقف سيارته أمام "كوستا كافية" بشارع جامعة الدول العربية في حي المهندسين، حيث كان موعده المضروب للقاء "هشام وهدان".. كانا قد فضلا أن يكون اللقاء في مكان عام خارج عيادة الأخير حتى يتمكننا من كسر الحواجز بينهما في البداية..

وقف يعدل هندامه أمام زجاج الكافية بعد أن انعكست صورته عليه.. كان قد استعاد الكثير من ثقته في نفسه بعد أن أنهى لقائه الملتهب مع "صفاء".. عاد لوجهه تورده وشعر بعودة الدماء لشتى أجزاء جسده.. عدل بكفه خصلة نافرة من شعره، وابتسم حين تذكر كيف كانت تجذبه من شعره وتنشب أظافرها في ظهره



وهي تتأوه من فرط نشوتها.. دخل إلى الكافية شاحداً كل أسلحته للقاء زميل دراسته القديم..

رآه من بعيد جالساً في القسم المخصص لغير المدخنين، أشار له بيده محيياً فقام "هشام" يستقبله حين اقترب منه.. وجدته كما تركه بالضبط لم يتغير فيه شئ سوى قليل من الشعر الأبيض غزا رأسه، وذلك الشارب واللحية الدوجلاس اللذان تركهما ينبتان على وجهه.. طويلاً ربيعاً، نحيل الوجه.. نظارة طبية أنيقة تقف أمام عينيه اللامعتين كأنهما تحرسانهما.. تفاحة آدم تبرز بوضوح في منتصف رقبته بالضبط.. كل شئ فيه مرتب منمق، لكن ذوقه ارتقى كثيراً في الملابس فلم يعد واضحاً عليه أصوله الريفية من اختيارته الفاقعة للألوان كما كان معتاداً منه.. بعد تحية فاترة جلس "أكرم" على مقعد مقابل لمقعد "هشام"، الذي نظر في ساعته كأنه يلومه على التأخير ثم قال:

- أنا فضلت يكون ميعادنا بره العيادة، علشان نكون على راحتنا.

- هو أنا إتأخرت عليك شوية؟!.



قالها "أكرم" بطريقة مستفزة، لكن "هشام" تجاوزها
بابتسامة صفراء ثم قال:

- تشرب إيه يا أكرم؟.

- دوبر اسبرسو.

أشار "هشام" للنادل اثر عبارة "أكرم" الأخيرة فحضر
من فوره وأضاف للقهوة شايًا أخضر طلبه "هشام"..
ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتي "أكرم" بعد أن سمع
طلب "هشام"، كان آخر ما يذكره عنه أنه لا يشرب
الشاي إلا مغليًا.. بعد إنصراف النادل نظر "هشام" نحو
"أكرم" مليًا ثم قال بهدوء:

- إيه أخبارك يا أكرم؟!.

دقق "أكرم" في وجهه لبرهة فوجده هادئًا ليس فيه
ما يبعث على العصبية، إلا أن عيناه كانتا تلمعان بذلك
البريق الخبيث الذي كان مشهورًا عنه أيام الجامعة..
ضاقت حدقتا "أكرم" وباغته قائلاً:

- ليلي قالتلي انها اتصلت بك.

- صحيح.



أجاب من فوره دون أدنى تردد، وإن كانت عيناه قد ازداد بريقهما.. ابتسم "أكرم" حين علم أنه قد أصاب غريمه بالتوتر وقال:

- ياريت ماتصدقش كل كلامها، انت عارف ان الصدمة كانت كبيرة عليها.. الله يكون في عونها ويصبرها، دي كانت مش...

- وانت يا أكرم، أخبار الصدمة معاك إيه؟.

"هذا اللعين، يحاول أن يلعب معي دور الطبيب النفسي".. حدث بها "أكرم" نفسه وهو يجز على أسنانه غضبًا، لكنه تمالك أعصابه مرتديًا قناع الهدوء وقال بنبرة رصينة:

- فعلاً الصدمة كانت قوية عليا، لكن هنعمل إيه؟!.. أمر الله.

- صحيح، ربنا يصبرك.

ضاقت حدقتا "هشام" بعد أن قال عبارته الأخيرة، ثم تفحص تعبيرات وجه "أكرم" جيداً.. ساد الصمت بينهما لفترة عندما جاء النادل يحمل ما طلباه، كانت بمثابة الهدنة بينهما حتى يستعدا للجولة الثانية من النقاش.. لكن "أكرم" لاحظ أثناء وضع النادل للطلبات على المائدة



إلتفاتة سريعة من عيني "هشام" .. لفتة تحمل نظرة خاطفة لها ذات البريق الخبيث حين أبصر يد "أكرم" اليسرى خالية من خاتم الزواج.. إغتاظ "أكرم" لما فعله "هشام" فثبت نظره على عيني الأخير.. فما كان منه إلا حول بصره صوب فتاة كانت تجلس على مائدة بالقرب من مجلسهما..

ارتسمت ابتسامة ظفر على وجه "أكرم" وحدث نفسه:

"أهذا كل ما لديك يا دكتور؟!، لعلك نسيت أنني أيضًا طبيب نفسي.. كلنا نفعل نفس الشيء عندما نشعر أن غريبًا ضبطنا نظره إلى شيء يملكه، لانريد أن نجعله يعلم بنظراتنا فنحيد بها على الفور نحو أقرب الجالسين منا.. حتى نخدع هذا الغريب، نقنعه أننا لسنا من النوع الذي ينظر لملك غيره" ..

صب "هشام" شايه الأخضر في هدوء، ورشف منه على مهل بعد أن اعتدل في جلسته وأسند ظهره على الكرسي.. ثم قال:

- قول يا أكرم أنا سامعك.

استند "أكرم" بمرفقيه على الطاولة ثم قال بتحد:



- الحقيقة أنا مستغرب جداً للوضع إلى إحنا فيه.
- ليه؟!.
- إيه إلى يخللي ليلى تتصل بك وتطلب مساعدتك?!.
- ودي فيها إيه?!.
- ضحك "أكرم" مقهقهًا ثم تراجع بظهره للوراء وقال في سخرية:
- فيها ان ليلى دكتورة، وأنا كمان دكتور يا دكتورور.
- مال "هشام" بجسده إلى الأمام، واستند بمرفقيه إلى المائدة كأنه قبل التحدي ثم قال:
- صحيح، بس أكيد انت عارف يا دكتور ان المريض النفسي مستحيل يقدر يعالج نفسه.
- أخرج "أكرم" علبة سجائره وأشعل واحدة منها، وأخذ ينفث دخانها في عصبية ثم قال:
- مش صحيح.
- مش فاهم.
- لأن علم النفس أصلاً مبني على ان المريض يعالج نفسه بنفسه.



- فعلاً، لكن ده لا يمنع أن الدكتور دوره مهم في كشف أعماق المريض أمام نفسه.
- مط "أكرم" شفتيه في ضيق ثم قال:
- مش مهم، مش عاوز ادخل معاك في جدل مالوش لازمة.. المهم لو ليلى كلمتك تاني قولها اني مش محتاج علاج، وأنا هبقى أتصرف.
- رماه "هشام" بنظرة متحديه ثم قال:
- آسف، ماقدرش اعمل كده.
- قال "أكرم" في تعجب فشل في مداراته:
- يعني إيه ماتقدرش!؟!
- أردف "هشام" وقد إزداد لمعان عينيه:
- يعني ماقدرش أتخلى عن مسئوليتي تجاه كل إلي بيلجأ لي.
- جز "أكرم" على أسنانه ثم قام واقفاً في غضب، ملمم أشياءه من فوق المنضدة ثم تذكر شيئاً فلمعت عيناه وقال بنبرة ذات مغزى:
- قوللي يا هشام، هو انت اتجوزت ولا لسه؟.



ترجع "هشام" إلى الخلف كاملدوغ، لكنه تمالك نفسه
سريعًا ثم أجاب:

- لسه، لكن ليه السؤال؟!.. عندك عروسة؟!..

ارتسمت على شفتي "أكرم" إبتسامة ساخرة ثم قال
متهكمًا:

- ياريت، كان نفسي أساعدك.. بس على العموم
ماتقلقش، أكيد هتلاقي واحدة تناسب مستواك.

صمت بعدها قليلًا ثم قال وهو يضغط حروف
كلماته ليفهم "هشام" مقصده:

- متشكر على وقتك يا دكتور، وياريت نبقى نتقابل
تاني.

قالها "أكرم" ثم انصرف مغادرًا المكان دون أن ينتظر
ردًا، ترك "هشام" وحده يراجع كل كلمة دارت في حوارهما
بعد أن استند بظهره إلى المقعد.. جز "هشام" على أسنانه
في ضيق وهو يلعن الساعة الذي وافق فيها على مقابلة
هذا المتغطرس المغرور.



مضى وقت طويل لم يُخصه "أكرم" انهمرت فيه المياه الساخنة في تتابع ورتابة من صنوبر الإستحمام على رأسه التعب ووجهه المنهك.. كان لصوت إنسيابها أثرًا طيبًا على ذهنه بعد أن إستفاق جسده قليلًا، واستعاد جزءًا من حيويته بفعل البخار الكثيف الذي ملأ الحمام وتكاثفت قطراته على جدرانه.. أخذ عقله ينشط شيئًا فشيئًا بعد أن ذهب عنه مفعول الكحول قليلًا.. فبعد أن أنهى مقابله مع "هشام وهدان" توجه إلى بار "ديلز" بالمهندسين، مكث فيه ما يقرب من ساعة واحدة شرب خلالها عدة كوؤوس من شرابه المفضل "شيفاز ريجال".. كانت تلك عاداته في الفترة الأخيرة، يحرص على المواظبة عليها بعد أن انقطع تمامًا عن ممارسة الرياضة..

حين عاد للبيت لم يجد "ليلي"، كان ذلك شيئًا غير إعتياديًا.. فلم يكن من عاداتها مغادرة البيت بعد أن كان ما كان، وامتنعت عن الذهاب إلى الجامعة لمزاولة عملها.. لم يعر لغيابها اهتمامًا بل على العكس شعر بقدر يسير من الحرية، وقرر الحصول على حمام منعش يزيل به آثار لقائه مع "صفاء" ويسترد به حيويته..

خرج من حوض الإستحمام وقطرات الماء تتساقط من جسده العاري على أرضية الحمام البورسلين.. لم يتكبد عناء



تجفيف شعره واكتفى فقط بأن أحاط خصره بمنشفة من الحجم الكبير ثم توجه إلى غرفة نومه يجر خلفه خطأً طويلاً من الماء ظهر واضحاً على الأرضية الخشبية للممر الواصل بين الحمام وغرف النوم.. وقف طويلاً أمام المرأة الضخمة لدولاب ملابسه يتفرس في ملامحه جلياً، ينظر لجسده الذي بدا عليه الترهل قليلاً.. تساءل بحنق: "من هذا؟!"..

كان يشعر أنه ينظر إلى شخص آخر.. مؤكداً أنه ليس هو "أكرم رشدي" كما يعرفه، وكما عرفه الجميع.. لم يكن يتخيل على الإطلاق أن يكون هذا هو نهاية المطاف بالنسبة إليه.. دوماً كان إيجابياً، ينظر إلى نصف الكوب الممتلئ.. إرادته وعزمته كانتا أبرز سمات شخصيته، تحميانه في كل الظروف.. حتى في أحلك اللحظات وأشدّها قسوة كان دائماً ما ينظر إلى بصيص النور البسيط الذي يظهر باهتاً في أقصى الصورة.. لكنه الآن يرى حطام إنسان، بقايا شخص كان يدعى في يوم ما "أكرم رشدي"..

أشاح ببصره بعيداً بعد أن ألمه ما رأى، ثم هوى بيمينه في غضب على المرأة فتهدمت قطعاً صغيرة.. نظر إلى الدماء التي سالت من قبضته في سعادة غريبة بعد أن شكلت بقعاً داكنة حمراء اللون على أرضية الغرفة



الخشبية، لكنه تجاهلها حين ملح قميصاً أسود اللون ملقى داخل دولاب ملابسه.. مد يسراه يمسك قماشته الناعمة في إهتمام بعد أن تعجب من وجود ملابس "ليلي" الداخلية في دولابه، أخذ يتفحصه في فضول.. كان قميص نوم أسود اللون قصير للغاية، يبدو من تصميمه الفاضح أنه يكشف أكثر مما يستر من مفاتن صاحبه.. اتسعت حدقتاه حين لاحظ عند منطقة الصدر رسماً لفراشة من الدانتيل.. ألقى بالقميص من يده في ذعر ثم تراجع إلى الخلف خطوتين بعد أن تذكر على الفور صاحبه.. هذا قميص "صفاء" المفضل، كانت معتادة على ارتدائه وقت لقاءاتهما المتعددة.. كان لهذا القميص مفعول السحر في نفسه تتحرك له كل غرائزه وشهواته..

التقطه مجدداً حين تذكر أن مجرد النظر إلى "صفاء" وقد إرتدت هذا القميص كان كفيلاً بأن يذهب عنه أي أثر للتعب والإرهاق، يتحرر حينها من مظاهر التحضر الزائفة التي تكبل نفسه ويرتد للبداية الأولى معتقاً من شهوانيته مذهباً..

"هل يحبها؟، أم هي فقط الرغبة؟!.." دائماً ما كان يسأل نفسه هذا السؤال دون أن يصل لإجابة قاطعة.. فقلبه كان لغزاً كبيراً لكل من عرفوه، حتى هو نفسه لم



يتمكن من فك طلاسمه.. مؤكداً أن قلبه لم يخفق بحبها حين تلاقت أعينهما لأول مرة، ذاك الخفقان المتسارع الغريب الذي يسلب الأنفاس ويسبب نشوة عجيبة لصاحبه.. لكن الأکید أنه قد ألف صحبتها بعد أن ساندته كثيراً في حياته وعلمته فنون الحب والحياة..

إنّبه من أفكاره وتساؤلاته حين تذكر أن "صفاء" كانت ترتدي هذا القميص قبل سويغات قليلة، عند لقائهما في عيادته..

"مالذي جاء به هنا؟!، من الذي أتى به؟!.. استعرت تساؤلاته مجدداً لكن دون إجابة..

حاول التركيز حتى يتمكن من إخفاء هذا القميص قبل عودة "ليلي" للبيت.. لف قبضته بمنشفة صغيرة بعد أن رش فوق الجرح قليل من العطر ثم وضع القميص خلف ظهره في حركة لا إرادية، تحرك متجهًا نحو الغرفة التي كانت مغلقة منذ فترة طويلة.. منذ عام بالتحديد..

فتح بابها بيد مرتعشة ثم ضغط على مفتاح الإضاءة بها.. كان يتلفت حوله في توتر باحثًا عن مكان يصلح لإخفاء القميص فيه.. تحرك مقتربًا من الفراش الوردي الصغير الذي يتوسط الباب المقابل للباب تمامًا، من جديد سمع صوت تلك الضحكة الطفولية يملأ أرجاء



الغرفة.. حانت منه إلتفاتة نحو الفراش فتسمر في مكانه
بلا حراك..

كانت طفلة صغيرة لا تتجاوز العايمان تستلقي على
ظهرها وتحرك أطرافها كأنها تداعب شخصًا خفيًا، تصدر
تلك الهمهمات الطفولية الغير مفهومة ثم فجأة تصدر
عنها تلك الضحكات التي باتت تؤرق حياته.. أغمض
عيناه في قوة لا يصدق ما يراه، حين فتحهما لم يكن
للطفلة أي أثر.. جن جنونه وأخذ يتلفت حوله في عصبية
بحثًا عنها، لكن بلا جدوى..

وقعت عيناه على إطار فضي موضوع على منضدة
وردية اللون صغيرة الحجم في أقصى يسار الغرفة.. تحرك
نحوه بأقدام متثاقلة كأنه في واحد من كوابيسه التي
باتت ترافقه في الآونة الأخيرة.. تغلب على ألم يده اليمنى
من أثر الجرح حين أمسك بالإطار الفضي، ثم نظر
للصورة الفوتوغرافية بداخله.. كانت تجمع بينه وبين
"ليلي" و.. ابنته "فريدة".. كانت ملامحهم تنطق بالفرحة،
وإبتسامتهم تشع ضياءً من السعادة..

شعر بغصة في حلقه أخذ يقاومها في البداية فوضع
الإطار الفضي في مكانه.. لكن عينه اليسرى ارتعشت
رغمًا عنه، بدأت شفته السفلى في الإهتزاز قليلًا ومعها



بدأ يفقد قدرته على المقاومة.. فقد السيطرة على نفسه
تمامًا، وأجهش في البكاء كطفل صغير تركته أمه وحيدًا في
الطريق.. ولم يعد إلى أحضانها أبدًا..

انتفض مستفيقًا من خيالاته المريضة على صوت
"ليلي"، التي فاجأته صائحة في غضب:

- أنت بتعمل إيه هنا؟!.

تغلب على إرتبائه سريعًا وعلى الفور أخفى القميص
خلف ظهره، ثم قال متظاهرًا بالهدوء:

- كنت بدور على حاجة قديمة.

- هنا!!، أنا مش قلت الأوضة دي محدش يدخلها أبدًا
غيري.

صرخت في وجهه بحدة فأشار لها بيده أن تسكت ثم
تحرك يطفئ مفتاح الإضاءة.. تحركت "ليلي" نحو غرفة
النوم، تتمت معترضة على تصرفاته بينما عاد "أكرم"
سريعًا يخفي القميص الأسود أسفل المرتبة الموضوعة على
الفرش الصغير..

حين ارتدى ملابسه حاول كسر حاجز الصمت الذي
كان يسود علاقته مع "ليلي" منذ فترة طالت حتى ظن
أنها لن تنتهي أبدًا.. سألها برفق:



- كنتي فين؟!!

رتمه بتلك النظرات الجوفاء مجددًا ثم ألقى بجسدها فوق الفراش، ركزت بصرها على تلك النقطة الوهمية ولم ترد.. جز على أسنانه في غضب، لكنه قرر المحاولة من جديد فسألها:

- اعملك شاي معايا؟!!

كان الصمت المطبق هو الجواب كالعادة فاندفع خارجًا من الغرفة وهو نادم على محاولة التقرب منها.. وقف في المطبخ يعد لنفسه كوبًا من الشاي فتداعت في رأسه الذكريات من جديد.. صب شايه في كوب زجاجي وأشعل سيجارة نفث دخانها في ضيق وهو يلعن تلك الأفكار والذكريات البغيضة التي لا تنفك تحاصر خياله وذهنه في كل لحظة حتى بات كالمجنون..

إبتسم ابتسامة خفيفة حين وصف نفسه بالجنون، فقديمًا كان يرى ذلك المجدوب الذي كان كل صبيان الحي يلقبونه بفتحي المجنون..

قديمًا وقت أن كان صبيًا.. كان يقيم لدى عمته في شارع الجيش بالعباسية بعد انفصال أبويه وموت أمه.. لم يكن هناك مكان آخر يأمن فيه عليه أبوه، خاصة مع ظروف



عمله التي كانت تستدعي تواجدَه طويلاً خارج البيت..
دائماً ما كان يرى هذا المجدوب مرتدياً ملابس بالية ويجر
خلفه شوالاً من الخيش ممتلىءً بالقمامة وبقايا الزجاجات
المهشمة.. كان يردد دائماً عبارة واحدة لا تتغير أبداً:

”ملعونة أنت يا سعاد.. ملعونة في السماوات والأرض“..

يبدأ بعدها في سب المارة بأقذع العبارات والألفاظ ثم
يقذفهم ببقايا الزجاجات المهشمة، وأطفال الحي يركضون
خلفه يسخرون منه ويقذفونه بالحجارة والحصى.. كان
يهزأ ورفاقه من ذلك المجنون الذي ذهب عقله من
حب امرأة.. كانوا يرونه ضعيفاً عاجزاً..

كان هذا المشهد يتكرر كل يوم تقريباً حتى أصبح
جزءاً أصيلاً من حياة أهل الحي.. فلا الرجل توقف عن
السباب ولا الأولاد توقفوا عن سخريتهم منه، ولا مسؤلوا
الحي تدخلوا بإيداع المسكين مستشفى الأمراض العقلية..

تناثرت أقاويل وشائعات كثيرة حيال قصة هذا الرجل
لكن أياً منها لم يقارب الحقيقة.. حتى علم بحقيقتها ذات
يوم من صاحب أحد الأكشاك، الذي أقسم انه كان يعرف
الرجل قبل أن تصيبه تلك اللوثة..



أخبره صاحب الكشك أن ذلك المجدوب إسمه "فتحي"، وأنه كان يعمل مدرّساً للغة العربية.. كان يحب تلك المرأة "سعاد" حباً جمّاً، وأن قصة حبهما كانت تُروى وتتناقل على ألسنة أهل الحي.. كانت مثلاً يحتذى به بين العشاق.. حتى مرضت المسكينة مرضاً عضالاً، ولم يقدر على نفقات علاجها فماتت ببطء أمامه.. ذهبت المسكينة، وذهب معها عقله بغير رجعة..

إبتسم حين أدرك أنه لم يصبح مجنوناً بعد، فحالته لم ترق بعد لحالة "فتحي".. أمسك بهاتفه المحمول وأخذ يداعب شاشته بأنامله، يتأمل آخر الأخبار من شبكات المواقع الإجتماعية.. سرقه الوقت فلم يشعر إلا حين إنتصف الليل، دخل إلى فراشه وهو يأمل في نوم عميق يريح به نفسه من تلك الأفكار والهواجس التي تتنازعها.



(٤)

كانت الأمطار تنهمر بغزارة تناسب طبيعة الطقس في مثل هذا الوقت المتأخر من ليل شتاء القاهرة حين أوقف المقدم "معتز الشامي" سيارته أمام أحد البنايات القديمة في شارع السيد البكري بحي الزمالك..

فتح باب السيارة على عجل فخرجت غيمة كثيفة من دخان سجائره ترافق جسده الضخم خارج السيارة.. ألقى بأصابعه الغليظة ما بقي من سيجارته المشتعلة على الرصيف المبتل فأصدرت صوتًا ملحوظًا وسط السكون المخيم على الأرجاء..

أحكم إغلاق سوستة الجاكت الجلدي طلبًا للدفع فظهرت بطنه الضخمة واضحة، ونفخ في كفيه الضخمتين ثم تحرك في سرعة محاولًا تفادي الأمطار الغزيرة نحو



مدخل البناية الذي كان ممتلئًا برجال الشرطة.. أفسح له الجميع الطريق فتحرك وهو يرفع يده بالتحية على من يقابله دون إكتراث.. كان عقله منشغلًا بتلك القضية التي ستكون محور اهتمام الرأي العام في الفترة القادمة، مازال صوت رئيس مباحث القاهرة يرن في أذنه حين سمعه يصرخ في المحمول:

- مفيش حاجة تشغلك عن الموضوع ده يا معتز، دي قضية رأي عام.. كلامي واضح؟!.

لم يستخدم المصعد الخشبي القديم، مارس عاداته بصعود درجات السلم حتى يرى بنفسه كل مداخل ومخارج مسرح الجريمة.. وصل للدور الرابع، فرأى من خلال عينيه البنيتين باب شقة المجني عليها مفتوحًا على مصراعيه.. تجمع أمامه الكثيرين من أصحاب الفضول، يحاولون التلصص لرؤية ما يجري بالداخل.. قال بصوته الأجش في نبرة رسمية:

- يلا يا جماعة كل واحد يروح يشوف أشغاله، عاوزين نشوف شغلنا.

نظر الوقوف نحوه في بلاهة، ولم يتحرك أحدهم من مكانه.. فرسم على وجهه القمحي علامات الجدية والصرامة ثم صاح:



- الأمانة في؟!.. يلا يا رجاله، عاوزين نفص المولد ده.

تحرك عدد من أمناء الشرطة فور سماعهم لصيحته الأخيرة.. صرفوا الناس في أقل من نصف دقيقة مكنته من دخول الشقة بعد أن رمى ببصره سريعاً نحو بابها.. لم يجد أي أثر لكسر أو استعمال للعنف.. عدل بيده ترتيب شعره الأسود الذي أصابه شئ من البلبل بسبب مياه الأمطار وهو يجيل بصره في أنحاء المكان..

كان أول ما لفت نظره تلك الفتاة العشرينية الشقراء، تجلس على أريكة فاخرة في أقصى يمين المدخل.. ترتدي من الملابس قدرًا يسيرًا لا يتناسب مع برودة الطقس على الإطلاق، لكنه أرجأ الإهتمام بأمرها لحين معاينته لموقع الحادث..

- معتز بيه، إحنا هنا يا باشا.

تحرك نحو غرفة النوم فور أن سمع نداء النقيب "عمرو الوقاد" بعد أن طبع في ذهنه المتقد صورة مطابقة بالضبط للمكان.. كانت ديكورات الشقة على طراز حديث، يبدو الأثاث الفخم كأنه جديدًا.. كل شئ في هذه الشقة يدل على الإسراف والبذخ الشديدين.. الأرضية من خشب الباركيه تغطيها قطع صغيرة من السجاد الفاخر.. الحوائط مغطاة بتلك الألوان التي تواكب أحدث صيحات



الموضة.. معلق عليها عدد كبير من البراويز الخشبية والنحاسية الأنيقة، تضم بين أركانها صوراً للمجني عليها في أوضاع متعددة ومراحل عمرية مختلفة.. حتى الإضاءة والتماثيل الصغيرة المتناثرة في كل مكان كانت بلا حساب.. على الرغم من ذلك إلا أن هناك شيئاً لم يجعل "معتز" مستريحاً لهذه الشقة.. ربما كان ذوقها الفاقع، أو لعله ذلك الإحساس الظاهر بافتقار صاحبها لقيمة الأشياء.. فكل شيء، بالرغم من قيمته الباهظة، مكسود وملقى بطريقة تفقده قيمته..

دخل من باب غرفة النوم فوجد جمع من رجال نقطة شرطة الجزيرة يتوسطهم النقيب "عمرو"، سمع أحدهم يقول متحسراً:

- مش حرام الجمال ده؟!.

رد عليه آخر في تعجب:

- ده مين إالي جاله قلب يعمل كده!!.

قاطعهما صوت ثالث يقول في غضب:

- أدي أخرة المشي البطال.

حياهم بإشارة سريعة من يده فتبادلوا نظرات الخجل بينهم ثم ساد الصمت تماماً.. بدأ "معتز" عمله



كما إعتاد بمسح بصري للمكان.. كانت الغرفة شديدة الإتساع، تبدو عليها أمارات الفخامة والبذخ تمامًا كما هو حال بهو الشقة.. لم يلاحظ أي آثار عنف أو تحطيم لمحتويات الغرفة، زجاجات العطر الثمينة بقيت على حالتها فوق التسيريحة ذات المرآة الضخمة.. ملح هاتف محمول أحدث موديل وجهاز تابلت حديث موضوعان على نفس التسيريحة.. شاشة التلفاز ذات السبعة والأربعين بوصة سليمة، معلقة على الحائط الأيسر للغرفة بالضبط في مقابلة الفراش..

هاله الحجم الكبير لفراشها النحاسي الذي يتوسط الغرفة الفسيحة.. كان تصميم الفراش يوحي بالعراقة والقدم، يبدو أثرياً كأنه يعود لأميرة من أميرات العصر المملوكي.. له أربع قوائم معدنية غليظة ترتفع عن أرض الغرفة حتى تكاد تلامس سقفها.. يخرج منها غلالة من القماش الأبيض الشفاف تنسدل حول الفراش، تضيء حوله أجواءً أسطورية تماثل أجواء عصور الجوارى والحريم..

إقترب من الفراش مزيحًا بكفه جزء من تلك الغلالة البيضاء الرقيقة، صدم بصره بقعة كبيرة من الدماء تلوث ملاءة الفراش البيضاء.. كانت كتلة الدماء متجمعة في



مكان عند منتصف الفراش تمامًا، يخرج منها بعد ذلك جزء أقل كثافة نحو جانب الفراش الأيسر مما يدل على أن الجثة تم سحبها في ذلك الإتجاه.. تحرك حول الفراش متتبعًا أثار سحب الجثة..

تسمر في مكانه بعد أن وجد جثة المجني عليها مسجاة على الأرض، عارية تمامًا.. دنا منها يفحصها فحصًا ظاهريًا فوجد جسدها متشنجًا في وضع عجيب..

كان جسدها مفروودًا لآخره بالكامل، إرتفعت المنطقة من عند الخصر قليلًا عن الأرض.. تبيست ذراعاها أمام صدرها بعد أن إنثنى ساعداها قدرًا يسيرًا، كأنها كانت تحاول الإمساك بشخص أمامها.. تخشبت قدماها وهما ممدودتان إلى آخر مداهما، تقلصت أصابع قدميها.. رفع رأسه إلى الأعلى قليلًا فرأى سكين مطبخ مغروز لآخره بين فخذيها..

تراجع معتز للوراء قليلًا بعد أن هاله بشاعة ما رأى ثم أخرج علبة سجائره وأشعل إحداها، أخذ ينفث دخانها في عصبية واضحة.. عقد حاجبيه مفكرًا ثم سأل:
- عمرو، هما لقوا الجثة هنا؟!.. ولا في حد حركها من مكانها?!..

- لا يا باشا، محدش لمس حاجة.. هي القتيلة كانت على الأرض في نفس المكان إللي سيادتك واقف عنده.

شرد "معتز" بذهنه فترة يحاول تصور كيفية وقوع الجريمة ثم عض على شفته السفلى كعادته حينما يفكر في معضلة تستعصى على فهمه.. قال أخيراً كأنه يحدث نفسه بصوت مرتفع:

- يبقى هي اتقتلت الأول على السير، وبعدين نقلها للأرض.

إقترب من الجثة ولمسها بيده فوجدها بدأت تبرد، لكنها لم تصل بعد إلى درجة من البرودة تدل على أن القتل قد تم منذ مدة طويلة.. ولاحظ تغير بياض بشرتها الثلجي قليلاً إلى لون أكثر شحوباً.. حانت من عينه نظرة خاطفة لموضع السكين المغروز فيها فتأفف في ضيق ثم إلتفت نحو "عمرو" وسأله في نفاذ صبر:

- هي النيابة فين؟!.

- في الطريق ياباشا، والطب الشرعي كمان بلغوا إنهم في السكة.

أطفاً "معتز" سيجارته في باطن حذائه ثم وضعها في جيب سترته الجلدية، كان لا يريد تغيير أي شئ في



مسرح الجريمة.. واقترب مجددًا من الجثة ثم جثى على ركبتيه، أخذ يتأمل ملامح وتعبيرات وجهها الذي كان به أثر لبعض الكدمات والخدوش.. كان يعلم بحكم خبرته الطويلة أن عيني القتيل قد تدلانه على القاتل، لكنه شاهد عينين جامدتين.. فقط كانت بهما نظرة تعبر عن هلع رهيب، تكاد تنطق بألم فظيع.. قام واقفًا بعد أن أخذ عقله يعمل في سرعة بالغة، أزاح بيده جزء من تلك الغلالة البيضاء التي تغطي الفراش.. أخذ يتفحصه مجددًا ثم قال مخاطبًا النقيب "عمرو":

- مين إللي إكتشف الحادثة؟!

- البواب يا باشا، وإحنا متحفظين عليه في المطبخ دلوقتي.....

صمت "عمرو" لبرهة ثم تنحنح قائلاً:

- أصل الصراحة قلت ما يصحش أخليه واقف هنا يتفرج على القتيلة بالمنظر ده.

رمقه "معتز" بنظرة جامدة ثم عاد ينظر نحو الفراش، لفت نظره لوحة زيتية ضخمة معلقة على الجدار فوق الفراش تمامًا.. كانت لوحة مرسومة للمجني عليها بدقة واحترافية شديدة، صورها بالحجم الطبيعي عارية تمامًا..



تنظر لمن يراها نظرة تحد تبدو واضحة في ذلك البريق الذي تومض به عينيها الزرقاوتين.. عقد حاجبيه مفكرًا في عمق ثم عاد يتفحص الجثة من جديد، تأفف في غضب ثم قال مخاطبًا "عمرو":

- فين البواب ده خيلنا نشوف إيه قصته؟.

لم يرد "عمرو" على الفور مما دفعه للنظر نحوه في نفاذ صبر إلا أنه وجده مترددًا قبل أن يقول بصوت مرتبك:

- لسه يا باشا سيادتك..

لم يمهله "معتز" فقاطعه في حدة:

- لسه إيه تاني يا عمرو!.

- لسه سيادتك ماشفتش الجثة الثانية.

كانت السماء غائمة تضيئ سحبها الكثيفة لونا رماديًا قائمًا على الأجواء.. جفت أوراق الأشجار تمامًا واصفرت، بدأت في التساقط بكثافة كأنها المطر حين هبت تلك الرياح التي تحمل غبارًا كثيفًا.. باتت الرؤية شديدة



الصعوبة وتداخلت كل الأصوات هادرة في حيز المكان مع
ازدياد صفير الريح..

وقف "أكرم" يتلفت حوله في قلق وذعر، كان لا يعلم
ما الذي أتى به إلى هذا المكان المخيف.. من بعيد سمع
صوتًا مألوفًا يصرخ باسمه في رجاء:
"أكرم.. أكرم" ..

اقترب من مصدر الصوت في صعوبة، كان يقاوم شدة
الريح المعاكسة لاتجاه حركته.. بعد عناء شديد وصل
للمكان الذي ظنه مصدر الصوت، لكنه لم يجد أحدًا..
سمع الصوت يصدر من جديد.. التفت خلفه بسرعة..
كانت أمه تنظر له برجاء من خلف عينيها الدامعتين،
تمد يديها المعروقتين نحوه تطلب منه العون والمساعدة..
هم بالإمساك بيدها لكن صوتًا صرخ فيه بقوة، جعله
يتلفت نحوه في فزع.. كان أبوه يوجه له نظرات حازمة،
ينهاه عن مساعدة أمه.. لم يكثرث لنظراته الصارمة
والتفت نحو أمه، لكنه وجد الرياح العاتية تسحبها بعيدًا
عنه حتى اختفت..

كاد أن يعدو خلفها لكنه رأى على مقربة منه طفلة
صغيرة مستلقية على ظهرها، تحرك أطرافها في سعادة



غامرة.. تثبت نظرها في اتجاه شخص خفي، تصدر منها كل فترة ضحكة صافية تتحرك لها مشاعر قلبه.. تطوف من حولها فراشات كثيرة، مختلفة ألوانها.. ومع طوافها كانت الرياح تسكن، والشمس تسطع في المكان.. اقترب منها وهو يقول بصوت خنقته العبرات:
"فريدة" ..

لكنه تسمر في مكانه فجأة حين تحولت تلك الفراشات إلى سيدات لهن أشكال متباينة، فقط كان ما يجمعهن هو تقاربهن في العمر.. كلهن سيدات أربعينيات.. لا يستر أجسادهن سوى ذلك القميص الأسود الفاضح، المنقوش على صدره رسم الفراشة..

كانت نظراتهن تحمل عدوانية مخيفة إقشعر لها بدنه.. لكنه تحامل على نفسه واقترب من "فريدة" بعد أن أحس بالخوف عليها.. رمقته النساء بغضب وغيظ، لكنه استمر في الإقتراب من مكانهن حتى كاد أن يمسك بابنته.. فجأة.. صرخت النساء فيه بقوة فسقط على ظهره وهو يشهق في قوة..

انتفض في فراشه مستيقظاً، يشله إحساس بدنو كارثة محققة.. بقي جامداً يرمش بعينه في ظلام الغرفة، الذي بدأ يتبدد قليلاً تحت وطأة ضوء أشعة الشمس.. تلفت



حوله باحثًا عن هؤلاء النساء، لكنه لم يجد لهن أثرًا..
نظر نحو "ليلي"، فوجدها تغط في سبات عميق بعد أن
أولته ظهرها كعادتها..

أخيرًا مد يده نحو هاتفه المحمول ثم نظر في شاشته..
"السادسة صباحًا!!!".. حدث نفسه ثم قام من فراشه
متأففًا، وهو يلعن ذلك النوم المتقطع وتلك الكوابيس
الملعونة..

وقف في منتصف الغرفة، لا يعرف ما الذي يمكن فعله
في هذا التوقيت المبكر.. لم يجد أمامه سوى العبث بهاتفه
المحمول برغم إقتناعه بأنه أصبح مدمنًا لشبكات التواصل
الملعونة.. كان كثيرًا ما يتخيل عنكبوتها المغطى جسده
كله بزغب كثيف يوشك أن يلتهمه بعد أن كبله بخيوطه
الوهنة.. هم بترك المحمول والعودة للنوم بعد أن أصيب
بالقرف لمجرد ذكر سيرة العنكبوت، الذي كان يأنف منه
كثيرًا.. إلا أن خبرًا ظهر تحت عنوان (عاجل) أثار فضوله،
جعله يؤجل نومه قليلًا.. ضغط بابهامه على رابط الخبر،
وهو يسخر من فضوله.. لكنه فغر فاه، وتجمد في مكانه
حين قرأ ما كان مكتوبًا:

"مقتل الفنانة صفاء عبدالحميد في ظروف غامضة" ..



أصابه الذعر والإرتباك، اشتعلت التساؤلات في رأسه..
”متى ماتت؟!“.. هز رأسه في عنف وهو يقول محدثًا
نفسه:

”من قتلها؟!“..

نظر لشاشة المحمول غير مصدق وهو يغمغم بصوت مخنوق:
”لماذا؟!“..

استجمع شتات نفسه بعد فترة لم يحصها، عقد عزمه
ثم طلب رقمًا كان لا يرغب في الإتصال به أبدًا، جاءه
صوت صاحبه وقد غلبه النعاس على الجانب الآخر فقال
من فوره:

- أيوه يا هشام أنا أكرم.. عاوز أقابلك النهاردة ضروري
في نفس المكان.

جاءه صوت هشام يقول:

- لأ خلينا المرة دي في العيادة.

قال أكرم وهو يجز على أسنانه:

- خلاص هاجيلك العيادة النهاردة الساعة ٩، بعد لما
تخلص مواعيدك.



... اليوم الثاني ...

حينئذ تكون على حافة الجنون..
يدفعك فاضحك للسقوط ببطء شديد..
تخلص منه قبل أن تلتصق الهاوية..

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



(٥)

تجاوزت الساعة العاشرة صباحًا بقليل حين أوقف
"أكرم" سيارته أسفل العمارة التي توجد بها عيادته، نزل
منها متأفّفًا وهو يستعرض في ذهنه ما مر به منذ أن
أنهى مكالمته مع "هشام وهدان".. كان قد توجه بعدها
إلى المركز الرياضي، لأول مرة منذ فترة طويلة، بعد أن
فارق النوم عينيه تمامًا منذ علمه بمقتل "صفاء".. قرر
ممارسة بعض الرياضة لعلها تساعد على تصفية ذهنه في
تلك الأيام العصيبة التي ما عاد يسمع فيها سوى الأخبار
السيئة..

حين دخل إلى المركز الرياضي كان يشعر أن شيئًا بداخله
قد تغير، لم يعد يشعر بتلك الجاذبية والحضور الطاغي
الليذان كانا يميزان شخصيته حين يدخل إلى أي مكان
وخصوصًا هذا المركز.. حدث نفسه في ضيق مغمغمًا:
"يبدو أن صفاء قد رحلت ومعها رحل كل شيء"..



لم يطل مكثه بالمركز أكثر من نصف ساعة ثم غادره على عجل دون أن يحدد له وجهة.. قاد سيارته لفترة دون هدف ثم قرر حين إعتراه السأم التوجه لعيادته، وقضاء اليوم بها حتى يأتي مواعده مع "هشام".. فالبقاء وحده أفضل في كل الأحوال من المكوث مع "ليلى" بحالاتها الغريبة التي لم يعد يجد لها مبرراً..

لم يجد عم "صلاح" جالساً أمام العمارة فصعد السلم سريعاً ودفع بيده باب العيادة، كانت ماتزال مضاءة منذ لقاءه بالأمس مع "صفاء".. شعر بالحزن على نهايتها المأساوية، لكن حزنه لم يزد على أن هز رأسه في أسى ثم ترحم عليها.. توجه إلى غرفة مكتبه وألقى بجسده منهكاً على مقعده، وتشاغل عقله بالتفكير في الدافع من وراء قتل إنسانة رائعة مثل "صفاء"..

توقف عقله المجهد عن التفكير فور أن بدأ القلق يفرد أجنحته على سماء نفسه الغائمة، ما أقلقه حقاً هو وجود قميصها في دولاب ملابسه، وفشله في معرفة كيف جاء القميص إلى دولابه من الأساس؟!..

قطع حبل أفكاره رنين هاتفه المحمول، لكنه لم يعره اهتماماً وبقية يشحذ ذهنه محاولاً تذكر ما جرى مع "صفاء" ليلة البارحة لعله يتذكر كيف جاء قميصها



لدولابه.. قاطعه رنين المحمول مجددًا، تأفف في ضيق وهو ينظر لشاشته.. علت وجهه إبتسامة عريضة حين رأى اسم المتصل.. أو المتصلة.. كانت "إيمي" ..

لم يطل تردهه فأجاب من فوره بصوت حاول أن يبدو عليه المرح:

- إيه إيلي فكرك بيا يا إيمو؟!!

علا صوته بضحكة مفتعلة حين سمع الرد على الطرف الآخر ثم قال بنبرة حاول أن تكون هادئة:

- خلاص يا ستي، أنا مستنيكي.

أنهى مكالمته ثم فتح درج مكتبه الأيمن العلوي وأخذ يعبث بمحتوياته حتى أمسك ملفًا أزرق اللون مكتوب عليه بخط واضح (ملف السيدة/ إيمان الشهاوي).. فتحه أمامه ثم بدأ يقلب في أوراقه، وذكريات تعارفه عليها تلح على عقله..

كان ذلك منذ ثلاثة أعوام تقريبًا حين دق باب غرفة مكتبه، وأخبره مساعده أن هناك سيدة أنيقة حضرت دون سابق موعد.. نظر "أكرم" في ساعة يده فوجدها قد تجاوزت التاسعة مساءً، كان قد إنتهى من فحص آخر حالة عنده هذا المساء وبدأ يستعد لمغادرة العيادة



والذهاب لموعد "صفاء" .. رمى "أكرم" مساعده بنظرة عتاب، كان قد وضع نظامًا صارمًا لعمله بالعيادة ودرّب عليه المساعد كثيرًا.. يتلقى المساعد الإتصالات من المرضى لتحديد موعد ثم يعدّ بها كشفًا، يعرضه على "أكرم" ليرتب مواعيده التي تكون بعد عشرة أيام على الأقل.. فيما عدا الحالات الطارئة بطبيعة الأحوال.. والطارئة هنا وفقًا لنظام "أكرم" الدقيق لا تقتصر فقط على الحالات التي تشكل خطورة حياة المريض.. تمنح المساعد ثم قال وهو ينظر بلؤم نحو "أكرم":

- حالة طارئة يا دكتور.

تردد "أكرم" قليلًا، لكنه قرر إجراء المقابلة وإنهاؤها في أسرع وقت حتى لا يتأخر على "صفاء" .. أومأ برأسه للمساعد ثم أشار له بيده سامحًا بدخولها.. مرت لحظات ثم سمع صوت طرقات مهذبة على الباب، ودخلت إلى الغرفة..

كانت سيدة في أوائل الأربعينات، جميلة.. يضي عليها سمار بشرتها البرونزية جاذبية لافتة.. تصبغ شفيتها المكتنزين، الراقدة إحداها فوق الأخرى في دعة واستكانة، بلون وردي هادئ.. شعرها الأسود اللامع ينسدل حتى كتفيها، مصفف بطريقة تدل على إتزان



شخصيتها.. جسدها ملفوف متناسق بشكل بديع، حركتها رشيقة.. بشرتها مشدودة وعلامات الصحة تبدو واضحة على صفحة وجهها، لم تؤثر تلك الهالات البسيطة أسفل عينيها على سحر وجاذبية وجهها.. عيناها بدتا واسعتين أسفل حاجبين عريضين محددين بدقة كأنهما مظللتان واقتان تحميان بريق عينيها اللافت من وهج الشمس ومن الحسد، يطل لون عسلهما من خلال بياض حليبي ناصع.. تضع على وجهها إبتسامة خفيفة، لكنها كافية لإبراز جمال أسنانها الناصعة.. نزل بنظره إلى الأسفل فرأى ساقها واضحين من تحت تنورتها التي بالكاد تصل إلى ما فوق ركبتها.. و..

- متأسفة جدًا يا دكتور إني جيت من غير ميعاد.

إنته "أكرم" من شروده على بحة صوتها التي كان لها مفعول السحر في أذنيه.. تنحج في إرتباك حين مدت يدها تصافحه فقام على الفور من خلف مكتبه وتوجه نحوها يلتقط يدها الرقيقة بكلتا يديه ثم قال:

- إتفضلي يافندم.

دعاها إلى الجلوس على المقعد الوثير الموضوع أمام المكتب ثم عاود الجلوس خلف مكتبه متظاهراً بالهدوء، حرص على ألا تبدو عليه علامات الإعجاب بجاذبيتها..



قبل أن يبدأ في أسئلته المعتادة بادرت هي قائلة بنفس
الصوت المبحوح الذي سحر أذناه:

- يا ترى ممكن أدخن؟!..!

أوماً لها برأسه وهو يقرب لها مطفأة سجائر زجاجية،
كانت موضوعة بالقرب منه على سطح المكتب.. أشعلت
سيجارتها ثم نفثت دخانها في توتر وقالت:

- أنا مش بنام يا دكتور، بقالي فترة على الحالة دي..
مش عارفه إيه الحل؟!.. أنا خلاص مش قادرة،
تعبت.

أمسك بقلمه يدون بعض الملاحظات بالمفكرة أمامه،
ثم رفع رأسه نحوها وسألها في جدية:
- والحالة دي بقالها كتير عند حضرتك؟.

”بقولك تعبانة، مش قادرة.. إنت مش دكتور ولا
إيه؟!..“

إنتفض في مكانه وأفاق من شروده عقب سماعه
للعبارة الأخيرة، رن صوتها المبحوح في غرفته بعد أن أطلقت
ضحكة عالية في ميوعة.. رفع رأسه نحوها فوجدها تخلع
معطفها الأبيض وحذائها، وتلقي بهما بلا إكترات على
أرضية الغرفة.. إقتربت من مكتبه حتى وقفت أمامه،



إستندت بكفيها على حافته ثم إنحنت قليلاً بصدرها إلى الأمام مما منحها مظهرًا مشيرًا.. خاطبها بنبرة ذات مغزى، عقب فراغه من تفحص تلك المساحة التي يسمح بها قميصها المفتوحة أزراره تقريبًا وتكشف عن نهدين كأنهما توأمي حجل نائمين على صدرها:

- بقالنا كثير ما اتقابلناش يا إيمو.

تحركت "إيمي" في إتجاهه تتمايل في ميوعة، تحاول إبراز أكبر قدر ممكن من مفاتها وأنوثتها.. فملأت رائحة بخورها النسائي المكان، وأدفأت حرارة ناره برودة الغرفة.. رتمه بنظرة ناعسة بعد أن وضعت يمينها في خصرها.. مبرزة تلك المنطقة الضيقة التي تفصل بين نصفها العلوي النافر في شموخ، ونصفها السفلي البديع في إستدارته.. قالت تدللّه بحروف ممطوطة وهي تفتح بيسراها زرًا إضافيًا من أزرار قميصها الأبيض الخفيف، في إشارة لها دلالة خاصة:

- في حاجات يا كيمو لازم نبعد عنها شوية، علشان نشتاق لها.

أنهت عبارتها ثم رفعت ساقها، ووضعت قدمها فوق فخذها في جموح إعتاده منها.. مدت يدها ترفع عن ساقها تنورتها شيئًا فشيئًا.. ثم أسبلت رموشها الطويلة في دلال،



وانحنى تقرب من وجهه.. إقترب وجهها من وجهه حتى
لفحته حرارة جسدها.. أغمضت "إيمي" عينيها وندت
عنها تنهيدة حارة، منتظرة منه أن يقبلها.. لكنه تصنع
الجدية، وقال في رصانة عقب أن وضع كفه على شفيتها:
- ضيعنا وقت كثير، كفاية لحد كده.

إتسعت عيناها في ذهول، لا تصدق إعراضه عنها..
لكنها لم تلبث أن ضحكت في غنج بعد إرتفع جسدها عن
الأرض فجأة، ووجدت نفسها بين ذراعيه القويتين.. غامت
نظراتها بين أحضانه، وسمعتة يهمس من بين إبتسامته
الرائقة:

- خلص الكلام لحد هنا يا إيمي.

لم ينل المقدم "معتز الشامي" قسطاً من النوم منذ
حادثة الأمس، ولم يجد للراحة سبيلاً.. ألقى بجسده الضخم
على كرسيه خلف المكتب الخشبي، الذي يتوسط غرفته
بمبنى قسم شرطة قصر النيل.. كان الإرهاق قد بلغ منه
منتهاه، لكنه كان يقاوم ذلك الإحساس في صلابة على
الرغم من تجاوز عقارب الساعة للثانية عشر ظهرًا.. شعر



عقله بالتحدي لتلك الجريمة الغامضة، التي لم يتمكن من فك طلاسمها حتى الآن..

رشف فنجان القهوة الخامس أمامه، وأشعل سيجارة.. وضعها أمامه في المطفأة دون أن يسحب منها دخانًا، سرح ذهنه في قضية مقتل "صفاء".. يبحث عن الدافع وراء قتلها، كان يعلم بحكم خبرته أنه إذا علم الدافع توصل إلى الجاني..

لكن الوضع في حالة "صفاء" كان مختلفًا.. فتلك الجرائم تكون غالبًا بدافع السرقة، ومثل هؤلاء الفنانات يخدعن عامة الناس بذلك النمط المترف من الحياة.. يظن الناس أنهن يمتلكن في بيوتهن الملايين أو كأن بيوتهن هي مغارة علي بابا، يحصل من يفتح بابها على الكنوز الثمينة..

إلا أن خبرته الطويلة في المباحث تخبره بأن هذه الجريمة بالتحديد ورائها سر غامض.. فالظاهر من طريقة القتل أن الدافع وراء ارتكابها كان عاطفيًا، لكن مؤكد أن العاطفة لم تكن وحدها الدافع بل كانت مقترنة بدافع جنسي وإلا فما المبرر لطعنها بين فخذيتها!!!.. كما أن تلك الجثة المجهولة التي وجدوها عارية في حمام غرفة نوم "صفاء" تكاد تشل تفكيره تمامًا.. لا يظهر عليها أثر أي



مقاومة على الإطلاق، فقط تلك العلامات الزرقاء على عنقها من أثر يد القاتل حين خنقها..

”لماذا تقتل سيدتان ليس بينهما رابط في نفس المكان؟، ولم تترك جثتيهما عاريتين؟!“..

أعياء الفكر وأضنته الحيرة بعد أن فشل في الإجابة على هذا السؤال.. فهز رأسه في ضيق، أمسك بسيجارتة بعد أن أوشكت على الإنتهاء ثم سحب منها نفساً عميقاً حتى كادت أن تحرق شفتاه.. أطفئها بغضب، وهو ينفث دخانها في ضيق وتأفف.. أشعل سيجارة أخرى ثم أمسك بملف التحريات الأولية الذي استلمه منذ قليل، وبدأ يقرأ مادون فيه في إنتباه شديد:

”صفية جابر عبدالحميد“، وإسم الشهرة ”صفاء عبدالحميد“.. أنثى، مسلمة، مطلقة، مواليد الجيزة سنة ١٩٦٦.. نشأت في أسرة ميسورة الحال، كون والدها ثروة من العمل بمجال المقاولات في سبعينات وثمانينات القرن الماضي وقت أن كانت تلك الأعمال مزدهرة.. مكنته تلك الثروة المعقولة من الزواج بوالدة صفاء والتي كانت تنحدر من أصول أسرة عريقة، لكن ساءت حالتهم المادية بعد أن نالت من أملاكهم قرارات التأميم في ستينات القرن ذاته.. تلقت صفاء تعليمًا راقياً في مدارس أجنبية



فأصبحت تتقن الإنجليزية والفرنسية.. إنفصل أبواها في سن مبكرة بعد أن تأثرت ثروة والدها نتيجة إنهيار بعض العقارات التي بناها، ولم تتحمل والدتها أحواله المتعثرة فتم الطلاق.. بقيت مع أمها في شقتها بالزمالك، لم يمض وقت طويل حتى كانت الأم تتزوج من رجل سئ السمعة.. إشتهر عنه أنه كان مولعًا بمطاردة سيدات الطبقة الراقية من المطلقات والأرامل، يمنهن الحب المفقود ويستحوذ على ما بقي من ثرواتهم.. كان جمال صفاء هو سلاحها الوحيد وطريقها الأمثل للنجاح، فعن طريقه تم إختيارها للتمثيل في فريق مسرح المدرسة.. وعن طريقه أيضًا تعرفت على أحد شباب المخرجين الذي أسند لها دورًا صغيرًا في فيلم من أفلام الصيف.. وبسببه كذلك حظيت باهتمام ورعاية "مدحت حمودة" مذيع النشرة الفرنسية، الذي بهره جمالها وأعجبه إجادتها للفرنسية فعرض عليها تأمين مستقبلها الفني وحمايتها بشبكة علاقاته..

قطع إسترساله في القراءة رنين هاتفه المحمول، رد على الفور حين رأى على الشاشة وميضًا شديدًا باسم رئيس مباحث القاهرة.. لم يتمكن من الرد فقد سبقته موجة عاتية من الصراخ والصياع على الجانب الآخر، لم يتبين منها سوى كلمات متقطعة..



”الكلام ده ماينفحش“..

”لسه مش عارفين تقبضوا على القاتل!!“..

”أقول للقيادات إيه؟“..

”ده اسمه تهريج يا حضرة المقدم، ابعتلي تقرير فوراً بكل حاجة وصلتها“..

ألقي بهاتفه في حدة على المكتب، وإحمرت عيناه من الغضب بعد أن أغلق الخط في وجهه ولم ينل فرصة واحدة لتبرير موقفه.. لعن في قرارة نفسه اليوم الذي التحق فيه بكلية الشرطة، واليوم الذي تم ترشيحه فيه للعمل بالمباحث.. ذلك العمل الذي كان سبباً رئيسياً في هدم أركان أسرته الصغيرة..

أمسك هاتفه مرة أخرى، وضغط على إسم ”عمرو الوقاد“.. ما أن سمع صوته على الجانب الآخر حتى بادره صائحاً:

- إنت فين يا عمرو؟! الدنيا مقلوبة في المديرية وإنت لسه ماوصلتش لحاجة؟

- يا باشا إحنا بعتنا لسيادتك التحريات الأولية وحالياً إحنا....

لم يهله ”معتز“، وقاطعه في حدة:



- تحريات إيه وكلام فارغ إيه؟!، مين صاحبة الجثة الثانية يا سيادة النقيب؟!.. قدامك ساعتين بالكثير تكون عرفت على الأقل إسمها.

- أوامرك يا باشا.

أغلق الخط وهو يكاد ينفجر من الغيظ.. طلب فنجانًا سادسًا من القهوة، بدأ يتمالك نفسه حين رشف منه القليل.. هدأت ثورته بعض الشيء، فجلس يكمل ما بدأه من قراءة تقرير التحريات:

وافقت "صفاء" على الزواج من "مدحت حمودة" بالرغم من أنه يكبرها بعشرين عامًا، أمن لها هذا الزواج خطوات راسخة في الوسط الفني.. انتقلت معه لعالم الشهرة والأضواء المبهرة، أصبحت علاقاتها أكثر تشعبًا وتأثيرًا مما ضمن لها مكانة مميزة وسط بنات جيلها من الفنانات.. بل كانت أكثر تميزًا عنهم لجمالها وموهبتها الكبيرة.. سرعان ما تقدمت حتى أصبحت من نجوم الشباك اللاتي يحصلن على أعلى الأجور، ثم تحولت لتصبح نجمة الشباك الأولى التي تحدد طاقم العمل بأكمله.. سارت حياتها على وتيرة واحدة تماثل ما يحدث مع أي نجمة سيطرت على القمة، مضت حياتها الزوجية طبيعية حتى إكتشفت ما كان يخفيه عنها زوجها..



من المعروف عن "مدحت حمودة" ميوله الجنسية الشاذة لكن من الواضح أنه نجح في إخفاء طبيعته المزدوجة عن "صفاء" .. حتى ضبطته في فراش الزوجية، مارس معه أحد الشباب أفعالاً أقل ما توصف به أنها شذوذاً جنسياً.. دمرتها تلك الصدمة تماماً فطلقت منه في سرية تامة وهدوء شديد حفاظاً على مستقبلها الفني.. تنازلت عن كل حقوقها المالية، وانزوت في شقة أمها بالزمالك بعيداً عن الأضواء.. ماتت أمها بعد فترة قصيرة، أصبحت "صفاء" وحيدة تماماً في مواجهة معركة المنافسة الشرسة للحفاظ على قمة نجوميتها.. اضطرت لفتح منزلها للسهرات حتى تجد من تؤنس به وحدتها.. أهملت عملها وفنها وانغمست في حفلاتها وحياتها الإجتماعية.. شيئاً فشيئاً بدأ نجمها الفني في الأفول، وتحولت قمة نجوميتها إلى هاوية سحيقة تسحبها لأسفل سافلين.. شعرت في قرارة نفسها بما يحدث، لكن غرورها وثقتها المفرطة في نفسها منعها من الإعتراف به.. بدأت معاملتها تختلف مع كل من حولها، أصبحت تشك في الجميع.. شعرت أن القمة تهتز من تحت قدميها فزادت عصبيتها وساءت أخلاقها.. خاصة بعد عزوف شركات الإنتاج عنها، بعدما كانت تتهافت عليها وتتحمل في رضا أجرها وشروطها



المغالى فيهما.. وتوقف المخرجون عن ملاحقتها والإتصال بها لتحديد موعد.. حتى الصحف باتت شحيحة في نشر صورها وأخبارها..

تقول المصادر أنها كانت شديدة الثقة في أنها لم تفقد شيئاً من وهج نجوميتها ولا بريق جمالها، لذا إزداد إهتمامها بمظهرها وحفلاتها الصاخبة.. بالغت في التردد على مراكز التجميل والمراكز الرياضية الفاخرة، لكن أيضاً من ذلك لم يمنع نهايتها كنجمة كان الجميع يتوقع أن تكون ملكة الفن بلا منازع في العصر الحالي.. مع إنهيار نجوميتها انهارت حياتها ومعها تحطمت نفسياتها، أصيبت بأحباط شديد تحول بمرور الوقت لاكتئاب حاد فترددت على إحدى المصححات النفسية الشهيرة لفترة ثم خرجت تعاود حياتها.. لها العديد من العلاقات العاطفية الغير مكتملة.. لا يوجد لديها خدم مقيمين بالشقة.. لا يتردد عليها أحد بصورة منتظمة في الفترة الأخيرة سوى "داليا" ابنة أختها..

طوى "معتز" أوراق الملف أمامه في ضيق، وأشعل سيجارة جديدة بعد أن إزدادت الأمور تعقيداً أمامه.. أخرج ورقة بيضاء وبدأ يكتب فيها:



”مدحت حمودة - طليق شاذ”.. ”داليا - إبنة أخت”..
”بواب العمارة”.. ”المصحة النفسية”..

أغمض عيناه بقوة وهو يزفر في ضيق بعد أن إتسعت
دائرة المشتبه فيهم أمامه، لكن رنين هاتفه المحمول
أنقذه من دوامات الحيرة حين سمع صوت ”عمرو” يقول
في لهفة:

- إيمان الشهاوي يا باشا.
- صمت ”معتز” لوهلة ثم قال متسائلاً:
مين دي كمان؟! -
- جاءه صوت ”عمرو” عبر المحمول قائلاً:
دي صاحبة الجثة الثانية سعادتك. -



(٦)

جلس الدكتور "هشام وهدان" مستندًا بظهره على مقعده الوثير خلف مكتبه الخشبي الفخم في غرفته الخاصة بعيادته الأنيقة الواقعة بمنطقة المقطم.. ينتظر لقاء غريمه القديم "أكرم رشدي"، مفكرًا فيما حدث من تغيرات جذرية في حياته منذ آخر لقاء جمع بينه وبين "أكرم"..

ابتسم في ثقة حين حانت منه نظرة خاطفة نحو شهادات التقدير والجوائز العلمية التي إمتلأت بها جدران ومكتبة الغرفة.. تذكر مشوار طويل من الكفاح المرير، قاسى خلاله حتى وصل إلى ما وصل إليه..

مكانة رفيعة صنعت منه واحدًا من أشهر الأطباء النفسيين، وجعلت منتجعه العلاجي يتنافس مشاهير



المجتمع على حجز موعد لقضاء وقت فيه.. تذكر تلك الدورات التي حصل عليها في أوروبا، وكيف كان منبهراً بمدى تقدمهم حين سافر طلباً للعلم..

تكونت أمام ناظريه صورة مصحته العلاجية وقت أن كانت مجرد قطعة أرض صحراوية على طريق مصر الأسكندرية الصحراوي.. ومض في عقله شكلها الآن بعد أن تحولت لمنتجع علاجي، يضاهي الفنادق ذات الخمسة نجوم..

هز رأسه في قوة طارداً عنها تلك الأفكار التي سببها مجرد التفكير في "أكرم" .. لا يعلم لماذا يشعر دوماً بالدونية أمامه.. حقاً كان "أكرم" شاباً مدلاً غنياً وقت الجامعة، لكن الوضع الآن بات مختلفاً..

أخذ عقله العملي يفكر في كل الإحتمالات التي من الممكن أن يكون عليها هذا اللقاء.. كان يعلم أن "أكرم" ابتلع الطعم منذ أن سمع صوته مهزوزاً وقت أن حادثه هاتفياً يطلب لقاءه، لكنه أيضاً كان مدرگاً لصعوبة إكتساب ثقة مريض مثل "أكرم" ..

فالثقة بين المريض والطبيب هي أساس العلاج النفسي.. هي الباب الذي قد يتمكن من خلال عبوره أن يقنع "أكرم" بالبوح بمكنونات نفسه، ومن خلال هذا البوح



يصبح قادرًا على تحليل حالته.. لكن "أكرم" كان طبيبًا أيضًا، وهو ما يزيد الأمر صعوبة.. لكن تلك الصعوبة كانت هي ما تثيره.. كان يرغب في كشف عورته النفسية فنتمحي معها شخصيته أمامه، وتنكسر غطرسته التي كثيرًا ما عانى منها فيما مضى..

كان يعلم بحكم خبرته أن المريض النفسي في العموم يكون له وعيان، ظاهر وباطن.. الوعي الظاهر يكون خاصًا بالحاضر، يجر من خلفه آخر باطنًا يكون متعلقًا بماضي المريض.. ويستمر الوعي الظاهر في عملية الجر أو السحب هذه كأنه يستخدم حبلًا وهميًا، لكن لكل حبل مهمًا بلغ طوله نهاية.. فعند نقطة معينة يبلغ هذا الحبل الوهمي منتهاه، حينئذ تبدأ عملية عكسية.. عملية جذب الوعي الباطن للوعي الظاهر مع محاولة الأخير للإستمرار في طريقه ساحبًا خلفه الباطن.. في هذه النقطة تحديدًا يبدأ الصراع بين الظاهر والباطن، عندها يفقد عقل المريض قدرته على التمييز.. تبدأ أعراض المرض النفسي..

وحالة "أكرم" كما عرف من "ليلي" هي حالة من الهلاوس السمعية، وفقدان مؤقت في الذاكرة لبعض الحوادث الإنتقائية.. ولكي يتمكن من علاجها فلا بد أن



يعرف النقطة التي وصل إليها واعي "أكرم"، أو الحادث الذي إعترض حياته فقلب موازينها.. عندها يواجهه به حتى يتمكن من إعادة توازنه النفسي.. هذا ما يتعين عليه الوصول إليه كطبيب..

لكنه يعرف أن الوصول لذلك مع مريض مثل "أكرم" ليس بالأمر الهين.. لأن الأخير بحكم خبرته كطبيب يستطيع أن يخدع نفسه جيداً.. يبرر أفعاله وتصرفاته الغريبة تبريراً يرضي عنه وعيه الظاهر، يتمكن به من إخفاء حقيقة مرضه على نفسه بل ويقنعها بأنه ليس مريضاً من الأساس.. ومادام المريض قادراً على خداع نفسه فإنه بالضرورة سيكون أكثر قدرة على خداع طبيبه..

حالة صعبة ومعركة شرسة تلك التي ستكون بينه وبين "أكرم"، لذا فقد إختار أن يعتمد على أسلوب الصدمة كوسيلة للتغلب على شخصية "أكرم" وقهرها.. فتعمد أن يكون لقاؤهما في عيادته ليجعله يعترف بينه وبين نفسه بحاجته إليه، حتى يحطم غروره وغطرسته.. ثم إن "أكرم" سيكون أكثر إستسلاماً له في العيادة منه عندما يلقاه خارجها.

وبالرغم من هذا كله فحين جاء "أكرم" في مواعده تماماً كانت هناك هالة كبيرة من الثقة المفترطة بالنفس



تحيط به، بدا شديد الغرور مزهوًا بنفسه كالطاووس..
إبتسامته الصغيرة ترتسم على جانب فمه حتى ظن معها
"هشام" أنه يسخر منه، ويتحداه..

غمغم "هشام" محدثًا نفسه في حلق:

"اللعنة عليك، كيف إستطعت في الفترة التي انقضت
منذ حديثنا الهاتفني أن تستعيد سيطرتك على نفسك..
تؤهل نفسك لدخول العيادة بكامل قواك وطاقتك".

دخل "أكرم" غرفة "هشام" الفخمة صامتًا، يجيل
بصره في المكان وتلك الشهادات العلمية الكثيرة المعلقة
على الجدران تثير حنقه.. جلس دون إستئذان على المقعد
الضخم المواجه لمكتب "هشام" الخشبي ثم قال محاولاً
السيطرة على مجريات الأمور:

- الحقيقة أنا قررت أجيلك علشان أستعين بك في
موضوع معين.. هو أنا كنت قررت إني أعالجه بنفسه
طبعًا، لكن في الآخر شفت إن ممكن أستعين بشخص
غيري..

- وأنا جاهز يا أكرم.



قالها "هشام" بوجه جامد لكن نبرات صوته المتحدية كشفت عن نواياه.. إتسعت إبتسامة "أكرم" حين علم أنه أصاب غريمة إصابة موفقة فقال بلهجة ساخرة:

- الموضوع بسيط يا سيدي، شوية هلاوس سمعية مش محتاجة إلا بس.....

قاطعها "هشام" في نبرة جامدة:

- إمتى بدأت الهلاوس دي؟.

رقمه "أكرم" في دهشة، لكنه قال متجاوزاً دهشته:

- من مدة طويلة، حوالي سنة.. لكنها زادت شوية في الأسبوعين الأخيرين.. أنا كنت شايف الموضوع عادي ممكن يخلص بشوية مهدئات لكن ليلى هي اللي أصرت إني لازم أشوف دكتور غيرنا.

مط "هشام" شفثيه ثم قال ببرود:

- احتمال.

- احتمال!!، ده اللي حصل فعلاً.. يعني ده واقع مش احتمال.

رد "أكرم" في ضيق من لهجة "هشام" الباردة ومحاولته لعب دور الطبيب النفسي معه، لكن "هشام" رد له الضربة حين قال بنبرة جادة:



- التحليل النفسي مش ممكن يبقى واقع لأنه مجرد إستنتاج.. لكن الواقع هو نتيجة التحليل النفسي النهائية، إلي بتثبت صحة التحليل أو خطأه.

جز "أكرم" على أسنانه غيظًا ثم سكت تمامًا، كأنه تلقى درسًا لم يكن يحب أن يتلقاه.. تركه "هشام" صامتًا وتشاغل عنه بكتابة بعض الملاحظات على المفكرة أمامه.. بعد فترة طالت خرج صوت "أكرم" مبوحًا حين كسر حاجز الصمت قائلاً:

- إيه مقترحاتك علشان نبدأ؟.

- كلمني عن نفسك؟!

قالها "هشام" دون أن يرفع عيناه عن المفكرة أمامه.. استعر الشك في قلب "أكرم" حين أحس بأن "هشام" يعد له فخًا فقال:

- أكلمك عن نفسي ولا أكلمك عن ليلي؟.

- الاتنين واحد، إنت لما تكلمني عن نفسك أكيد هتكلمني عنها.. مش كده ولا إيه يا دكتور؟!

قالها "هشام" في سخرية واضحة، فضاقت حدقتا "أكرم" ثم قال غاضبًا:



- إنت فاكِر إني مش فاهم إنت بتحاول تعمل إيه، أنا عارف كويس كل....
- تقدر تنطق إسمها؟! باغته "هشام" مقاطعًا، بهت "أكرم" لسؤاله الغريب فقال متعجبًا:
- هي مين دي؟! ركز "هشام" نظراته على عيني "أكرم" محاولًا فرض شخصيته عليه ثم قال في هدوء قاتل:
- بنتك يا أكرم، بنتك. إرتعشت عين "أكرم" اليسرى رغمًا عنه واهتزت شفته السفلى في حركة لا إرادية، لكنه تمالك نفسه سريعًا وقال بصوت مبحوح بعد أن أخرج علبة سجائره:
- ممكن أدخن لو سمحت?! رمقه "هشام" لفترة ثم قرر أن يحاول كسب ثقته فقال بهدوء:
- هو في الأصل ممنوع التدخين أثناء الجلسة، لكن لاعتبارات الصداقة القديمة يبقى مفيش ممنوع بالنسبة لك.

أشعل "أكرم" سيجارته ومضى ينفث دخانها في عصبية واضحة دون أن ينطق بكلمة واحدة، طال صمته حتى قطعه "هشام":

- مش ناوي تقولي اسمها؟!.

تلغثم "أكرم" حين حاول الكلام، لمجرد أنه حاول نطق اسمها فخرجت الحروف مبعثرة من فمه:

- ف.. فر.. يدة.

قالها ثم سألت دموعه من عينيه دون شعور، بقي وجهه ثابتًا دون أدنى تعبير يوحي بما يعتكز في داخله من مشاعر متباينة.. تفحص "هشام" وجهه لفترة ثم سأله:

- فاكر إيه اللي حصلها يا أكرم!؟.

- طبعًا.

أجاب "أكرم" في حدة ملحوظة، فهم منها "هشام" عدم رغبته في إستكمال الحديث حول هذا الموضوع لكنه قرر مواصلة إتباع أسلوب الصدمة فسأله:

- طيب فاكر هي ماتت إزاي؟!.

إزدرد "أكرم" لعبه بصعوبة وهو يقاوم إحساسًا طاغيًا ورغبة ملحة في البكاء ثم قال بصوت خافت:

- لأ، مش فاكر.



أوماً "هشام" برأسه ثم قال:

- ماشي، خرينا نغير الموضوع دلوقتي.. ممكن تحكي لي شوية عنك؟.

- عاوزني أحكيلك إيه بالضبط، إنت عارف عني كل حاجة تقريبًا من أيام الجامعة.

قالها "أكرم" وفي عينيه بريق يلمع بنظرات الشك.. عدل "هشام" من وضع نظارته الطيبة ثم قال محاولاً كسب ثقته:

- أي حاجة يا أكرم، قول أي حاجة تريحك يمكن أقدر أساعدك.

زفر "أكرم" زفرة طويلة ثم أطفأ سيجارته في عصبية، تلفت حوله حتى وجد أريكة فقام متوجهاً نحوها ثم تمدد فوقها شابكاً يديه فوق بطنه.. إبتسم "هشام" في هدوء فقد كان في فعل "أكرم" هذا دليلاً دامغاً على أنه يعاني من خلل نفسي بالفعل.. أنه في حاجة إلى طبيب، في حاجة إلى البوح.. علم "هشام" أن هذا التحدي الظاهر في تصرفاته وحديثه لم يكن موجهاً له بل كان يتحدى نفسه.. أغمض "أكرم" عينيه كأنه يحاول التغلب على نفسه ثم خرج صوته ضعيفاً بطيئاً للغاية، كأنه يتحدث من



باطنه.. غابت عنه نبرته القوية، إختفت لهجته المتحدية
الساخرة وبات كأنه مهمومًا حزينًا ينعي نفسه:

”لا دور لي في هذه الحياة سوى أن أتقبل ضرباتها بصدر
رحب، أتحملها في صبر وألم حتى إن إنكفأت على وجهي
من قوتها.. ثم أظاهر بالقوة وأعود واقفًا من جديد
لمواصلة طريقي.. حتى نجاحي وتفوقي ليس لي يد فيهما،
فأنا لم أجد أمامي طريق آخر.. لم أكن أمتلك رفاهية
الفضل.. يظن الناس من حولي أنني قوي صلب، لا يشعرون
بما أحس به من ألم.. لكن لا يهم.. فقد أعجبنى ذلك
الإحساس منهم، ونظرات الإعجاب تلك التي يوجهونها
نحوي دومًا..“

توقف ”أكرم“ عن مواصلة البوح وزفر زفرة طويلة،
غرق في صمت طويل.. فتح عيناه وأخذ ينظر نحو
”هشام“ بعين ترجوه أن يجعله يتوقف لكن الأخير أدار
مقعده بعيدًا عنه ونظر إلى الجهة المقابلة.. أغمض ”أكرم“
عينيه مجددًا وأكمل البوح:

”كان أبي ضابطًا في الجيش، لكنه لم يكن ضابطًا عاديًا
كما سمعت من عمتي كثيرًا.. أخبرتني أنه كان يعمل في
جهاز سيادي، مسئول عن العديد من الملفات الملتهبة
الشائكة آنذاك.. تنقل بحكم عمله في محافظات كثيرة،



لم يكن يقيم معنا بصورة منتظمة.. كنت أنتظره عشرة أيام كل شهر، أحياناً كانت غيبته تطول لكنه كان دائماً ما يعود.. كان محافظاً صارماً في حياته، يحافظ على العادات والتقاليد لا يقبل فيهما تهاون أبداً.. فأصوله الريفية ووالده ضابط الجيش أيضاً كانا هما المكونان الرئيسيان في شخصيته.. أما أمي فقد كانت على النقيض تماماً.. كانت من أسرة لها أصول أرستقراطية، والدها كان إقطاعياً من الذين صادرت ثورة يوليو أموالهم وممتلكاتهم.. سمعت مرة عمتي تقول أن جدي لأمي قد وافق على تلك الزيجة طمعاً في أن يحمي جدي لأبي ما بقي من أملاكه.. كنت دائماً ما أسمع عمتي تقول لأبي: "ماكانش ليك في الجواز من الناس دول أبداً يا خويا" .. لكنها كانت مخطئة.."

توقف عن الحديث فجأة وقام واقفاً ثم قال في حدة:

- أظن كده كفاية النهاردة.

وخرج من الباب بسرعة متحاشياً النظر في عيني "هشام"، الذي بقي على حالة مندهشاً من تصرفات "أكرم" الغريبة..

كان يرى أنه شخص مسيطر على نفسه بصورة جيدة حتى وإن حاول التظاهر بأن حياته كانت هي التي تسيطر عليه.. لم يبد عليه أي شئ لافت سوى قيامه



المفاجئ من على الأريكة وقت أن تطرق حديثه لعلاقة أبيه وأمه.. لم تختلف نبرته الهادئة التي بدأ بها حديثه إلا عندما بان فيها الحماس دفاعاً عن أمه وقوله أن عمته كانت مخطئة.. لكن الغريب في الأمر أيضاً أنه لم يتحدث عن موضوع ابنته على الإطلاق بالرغم من أنه يفترض أن يكون هو الغرض من اللقاء.. وتحدث عن طفولته هو عوضاً عنه..

”يبدو أن عقده ليست خاصة به وحده“.. حدث “هشام” نفسه وعدل من وضع نظارته الطبية ثم أمسك بهاتفه المحمول يطلب رقمًا.. قال بعد فترة:

- أيوه، لسه ماشي من عندي حالاً..

صمت برهة ثم قال مجدداً:

- عاوز أشوفك.

تهللت أساريه وقال بعد أتاه الرد من الطرف الآخر:

- إتفقنا، يبقى هعدي عليكى بكره.

كانت ”ليلى“ راقدة في فراشها كعادتها في الآونة الأخيرة، كل شئ فيها نائم إلا عينيها وقلبها.. لو حسبت تلك الساعات التي قضتها راقدة في الفراش في العام الأخير



لوجدت أنها تتجاوز نصف سنوات عمرها الذي شارف على الأربعين.. أصبحت حياتها كلها فوق هذا الفراش، حزنها فوق الوسادة وأملها أسفل الغطاء.. حياة بات لا يشاركها فيها أحد.. فلا أحد يشاركها الحزن، ولا أحد يحس معها بالألم.. حتى "أكرم" حبها الوحيد لم يعد يشاركها أي شئ..

تهددت في أسى حين تذكرت كيف كانت تحب "أكرم"، لا لم تكن تحبه بل كانت تعشقه.. كان يكفيها ما تقوله لها أمها وقت أن تقح عينها عليه أيام العباسية: "يابت إنقلي، عينيكي فاضحاكي".. كانت لمعة عينيها دوماً ما تفضحها.. فلمعة العين عند رؤية من تحب هي الابدعية التي لا تنطقها الشفاه..

و"ليلى" كانت تؤمن أن الحب هو أسمى شئ في الوجود، من أجله خلق البشر.. كان الحب عندها أكبر من كل شئ، أكبر من الجنس أو حسن العشرة أو الإعتياد أو حتى الظروف.. وإلا ما كان هناك فارق بين رجل وآخر.. كانت بحكم تعليمها وخبرتها العملية، كأستاذة في الجامعة تدرس طب الأطفال، ترى إمكانية أن تمارس المرأة الجنس مع أي رجل فتلك غريزة فطرية جبلت عليها.. لكنها آمنت أن من المستحيل على المرأة أن تحب



سوى رجل واحد.. وقدماً كانت قد قرأت مقولة صارت تؤمن بصدقها: "المرأة لا توجد في حياة الرجل سوى مرة واحدة، وكذلك الرجل.. وماعدا ذلك ليس سوى مجرد محاولات بائسة للتعويض.."

"ما الذي يجعل المرأة تقع في غرام رجل بذاته؟" شغل هذا السؤال بالها كثيراً حينما كانت في الجامعة..

كان هذا هو محور حديثها وزميلاتها وقتئذ.. تذكرت صديقاتها اللاتي اندفعن في متعة الجنس متوهمات بأنها هي الحب، لكن سرعان ما انطفأت تلك الجذوة المتقدة بالرغبة وخبا معها ما كن يتوهمن أنه الحب.. فالحب الحقيقي كما تعتقد لا تنطفئ جذوته أبداً.. وأخريات كن يهربن من الحب لخوفهن من حرمة الجنس وعييه، ففقدن أجمل وأسمى معنى يميز الإنسان عن غيره من سائر المخلوقات.. وغيرهن تعاملن مع الحب على أنه ضعف أو استسلام للرجل.. وكلهن عندها مخطئات..

كانت ترى أن الحب طاقة نورانية هائلة، قوة روحية كبيرة.. فشريعة الحب عندها أن تمارس ضعفها في حضرة قوته، ولا يعني ذلك ضعفاً أو خنوفاً.. بل على العكس تماماً، كلما زادت المرأة قوة إزدادت قدرتها على الحب فيتحول حبها بمرور الوقت إلى عالم متكامل.. تجد ملاذها



بين ذراعيه، لا تخشى أن تتجرد أمامه من كل شيء دون خوف أو وجل.. تتجاوز عن أي عيب فيه، تبرره وتعشقه.. تضحى بكل شيء من أجله دون أن تدرك أن ما تفعله تضحية.. كانت ترى الحب يتمثل في إمتزاج روحها وذوبانها في كيان حبيبها.. ذلك الحبيب الذي تجد فيه قلبها وعقلها، يومها وغدها.. تجد فيه حياتها بأكملها، وتجد فيه أيضًا إحساسها بجسدها..

لكنها كانت تظن أن الحب كالإنسان تمامًا، يمر بكل أطواره المتغيرة.. فقد يمرض أو يضعف، لكنه لا يموت إلا بمفارقة الروح لجسد المحب.. لذا فقد كانت تؤمن أن الرجل القوي هو وحده القادر على الحب.. القادر على حماية حبه من شهواته وغرائزه، الحامي لحبيبته من نفسه.. وكانت تظن أنها محظوظة لكونها وجدت مثل هذا الرجل.. الرجل القوي المحب، "أكرم رشدي".. لذا لم تتنازل عن حبه له أبدًا..

كان إحساسها هذا يولد لديها شعورًا متعاظمًا بالخوف.. الخوف من فقدته يومًا ما.. وحتى لا تفقده كانت تحاول أن تفرض سيطرتها على كل مجريات حياته، لم تترك شيء له وحده بل شاركته في كل أموره.. كانت تعلم أن محاولاتنا تلك تصيبه بالضيق والضرر، لكنها



كانت تتعجب من استسلامه لها.. حتى باتت تشعر أنها
مسئولة عنه وعن حمايته، أصبحت تشعر أنها زوجته
وأمه في نفس الوقت..

أفاقت من شرودها حين سمعت صوت إغلاق باب
الشقة، علمت أن "أكرم" قد عاد.. بعد فترة دخل للغرفة
عابسًا مقطبًا جبينه، حانت منه إلتفاتة نحوها فوجدها
في نفس الوضع الذي إعتاد رؤيتها عليه مؤخرًا.. راقدة
في الفراش، تركز نظراتها الجامدة على نقطة وهمية في
السقف.. متم في غضب ثم غادر الغرفة سريعًا.. إلتفتت
"ليلي" نحو باب الغرفة ودمعت عيناها حين تذكرت
كيف كانت سعيدة معه قبل أن تتحول حياتهما جحيمًا..
لم تعد تفكر كثيرًا في السبب، ولا من المخطئ.. فقط باتت
موقنة بأنها لم تعد تستطيع التحمل..

أغمضت عينيها في ألم وهي تسحب الغطاء فوق
وجهها، إبتسمت وهي تستعد للقائها الهام في الغد..
لقاؤها مع "هشام وهدان"..



... اليوم الثالث ...

العَلَب يَصْفَقُ بِالصَّبِّ مَرَّةً وَاحِدَةً..

لِشُفْرِ وَاحِدٍ فَقَطًا..

وما عدا ذلك، ليس سور محاولات بائسة للنسيان.



(٧)

شعر المقدم "معتز الشامي" أنه لم ينم سوى خمس دقائق فقط حين سمع صوت نغمة هاتفه المحمول تتردد في تتابع سخيف.. بيد متكاسلة تحسس الكومود بجوار فراشه حتى وجد المحمول، بصعوبة فتح عينيه قدرًا يسيرًا حتى رأى وميض اسم المتصل على الشاشة.. فضغط زر الإجابة..

جاءه صوت "عمرو" على الجانب الآخر يقول في مرح:

- صباح الفل يا باشا.
- صباح الخير يا عمرو.
- سيادتك لسه نايم ولا إيه؟!، احنا بقينا الظهر.
- هقوم حالًا.



- طيب يا باشا علشان حضرت لك الملف بتاع إيمان الشهاوي، وكمان مدحت حمودة في الطريق.
- نص ساعة واكون عندك.

أغلق "معتز" هاتفه المحمول ومازالت عيناه تقاومان النعاس.. كانت تلك المرة الأولى التي يخلد فيها إلى النوم منذ أن تولى قضية مقتل "صفاء عبدالحميد".. نهض من فراشه متثاقلاً، كان يشعر برغبة شديدة في الحصول على قسط أكبر من الراحة.. إلا أن إنضباطه وتعلقه الشديد بعمله كانا أكبر من رغبته.. ارتدى ملابسه على عجل وأمسك بمفاتيحه يهيم بمغادرة الشقة، لكنه تذكر شيئاً فأمسك هاتفه يطلب رقمًا..

جاءه الرد بعد فترة وجيزة فقال متصنّعاً الود:

- صباح الخير يا طنط، أخبار صحتك إيه؟
- أهلاً يا معتز.
- أُمال فين يُمنى؟!.
- يُمنى نائمة دلوقتي.

جز "معتز" على أسنانه لكنه تمالك أعصابه سريعاً ثم قال في نبرة حاول قدر المستطاع أن يحافظ على هدوئها:



- طيب، بعد إذنك إديني أدهم أكلمه.
- ساد الصمت بعدها لفترة ثم جاء صوت ابنه على الطرف الآخر يقول في مرح:
- كل سنة و إنت طيب يا باي.
- إنتبه إلى أن اليوم يوافق يوم ميلاده.. حدث نفسه سرًا: "حتى دي كمان بقيت بنساها" .. لكنه تمالك نفسه سريعًا وقال:
- و إنت طيب يا حبيب قلب باي.
- بقى عندك كام سنة، ٢٠؟.
- لا يا حبيبي ٣٩.
- طيب إنت مش هاتجيبلي تورته علشان عيد ميلادك.
- حاضر يا حبيبي، هاكلم مامي و إتفق معاها علشان نحتفل كلنا مع بعض.
- بس أوعى تتأخر.
- هخلص الشغل واجيلك على طول.
- ساد الصمت برهة ثم قطعه صوت "أدهم" يقول في براءة:



- باي، هو احنا مش هنرجع البيت بتاعنا بقى؟!.. انا اوضتي وحشتني.

أغمض "معتز" عينيه في أم ثم قال:

- قريب يا حبيبي، قريب.

- طيب يلا باي بقى، تحب تكلم مامي؟

همَّ "معتز" بالموافقة على طلب ابنه لكن كبرياءه منعه فأجاب:

- لا يا حبيبي سلم لي عليها بس.

أنهى المكالمة ثم غادر الشقة محاولاً إغلاق باب الذكريات التي كانت تصر على تشتيت ذهنه.. تذكر كيف كان يعتبر زوجته "يمنى الألفي" حبه الوحيد.. في ذلك الوقت حين كان ضابطاً صغيراً يحارب الدنيا بأسرها حتى يتمكن من الفوز بقلبها في معركة جمعته مع ابن خالتها رجل الأعمال بالوراثة والعريس اللقطة..

كان الصراع بينهما بالرغم من ضراوته إلا أنه كان يفتقر إلى الندية، فالأخير لديه كل مقومات الحياة الهنية بالإضافة لدعم خالته أم يمنى الشديد له.. أما هو فلم يكن يملك سوى مستقبل واعد، وبذلة بيضاء اللون يلمع فوق كتفيها نجمتان ذهبيتان..



تذكر أنه لم ينل منه اليأس، وبذل كل جهده لإقناع والدها بالموافقة.. كان الرجل متحيزاً لجانبه بحكم طبيعة عملهما المشتركة، كان رحمه الله لواء شرطة.. في النهاية وأمام إصرار "يُمنى" ومساعدة أبيها لم تجد أمها مفراً من الموافقة على مضض بالرغم من حالته المادية المتردية آنذاك.. حتى أنهما تزوجا في بيت والدها أول الأمر..

بعد فترة قليلة توسط له والدها لنقله للعمل في المباحث، ومن يومها لمع نجمه وبزغ اسمه كواحد من أكفأ ضباط المباحث.. ومنذ ذلك الحين آمن أن عمله هو وثيقة تأمين مستقبله ومستقبل ابنه "أدهم".. لكن ذلك كان على حساب وقت أسرته الصغيرة، وهو ما لم تتحمله "يُمنى" أبداً فما لبثت بعد أن توفى والدها أن تركت منزلها الصغير وعادت لأحضان أمها طالبة الانفصال..

- باشا، باشا.. وصلنا القسم سعادتك.

أفاقه صوت السائق من شروده فدخل مكتبه سريعاً محاولاً تجنب الحديث مع أي شخص.. كان مزاجه متعكراً بعد أن أصابه الحزن لما أخبره به "أدهم"، كان مصدر حزنه هو شعوره بالذنب من كونه سبب ألم وغم ابنه.. وجد على مكتبه ملف التحريات الخاص بالقتيلة الثانية



”إيمان الشهاوي“.. طلب كوبًا من القهوة وأشعل سيجارة
نفث دخانها في عصبية بينما كان يقلب في صفحات الملف:

”إيمان محمود الشهاوي“.. وشهرتها بين أصدقائها
”إيمي“.. أنثى، مسلمة، مواليد الأسكندرية سنة ١٩٧٥..
متزوجة من ”ياسر شعبان الدسوقي“ يعمل بصورة
متقطعة في تجارة السيارات المستعملة.. تركت الأسكندرية
كي تلتحق بالعمل في واحد من أكبر فنادق القاهرة،
تدرجت في الوظائف حتى أصبحت مديرة للعلاقات
العامة.. لها ابنة وحيدة تقيم في الأسكندرية مع والدها..

تفيد مصادرنا أن القتيلة كانت لها علاقات كثيرة
متعددة بحكم طبيعة عملها، مشهور عنها تحررها الزائد
وميلها للسهر وحضور الحفلات.. لا تلقي بالأل لكلام الناس
أو حديثهم عنها.. تقيم بمفردها في شقة إيجار جديد بحي
المهندسين، تعيش في مستوى أعلى بكثير من المستوى الذي
يمكن أن توفره لها وظيفتها أو دخل زوجها الغير ثابت..
تمتلك سيارة بيجو فخمة أحدث موديل، معروف عنها
أنها مسرفة حد الجنون في إقتناء الملابس والمجوهرات..

قالت بعض زميلاتها في العمل أنها كانت ترى أن
هدف المرأة في الحياة ينحصر في أن تستغل الرجال، لا
شئ أكثر من ذلك.. كانت تعتقد أن أقصى ما يمكن أن



تقدمه المرأة للرجل هو جسدها، لذا كان واجبًا عليها أن تساوم عليه جيدًا حتى تحصل على أكبر ثمن.. قالت أخريات أنها كانت بارعة في التعامل مع الرجال، نجحت في استخدامهم ليوفروا لها هذا النمط المترف من الحياة الهنية التي كانت تعيشها..

لا توجد علاقة واضحة تربطها بالمجنني عليها "صفاء عبدالحميد"، لكن يحتمل أنها كانت تعرفها بحكم عملها في مجال الفنادق..

- حمدالله على السلامة يا باشا.

رفع "معتز" عينيه عن التقرير وقال بهدوء:

- صباح الخير يا عمرو.

- صباح الخير إيه يا باشا!!، دي الساعة داخله على ٣ العصر.

تجاهل "معتز" ملاحظة "عمرو" الأخيرة وقال بنبرة رسمية:

- في جديد عندك؟.

- تمام يا باشا، مدحت حمودة وصل سيادتك.

- خليه يدخل، وانت كمان خليك حاضر معنا.



- أوامرك يا باشا.

تناول "معتز" رشفة من كوب القهوة أمامه فامتعض وجهه حين وجدها بردت.. أشعل سيجارة جديدة وهو يعد نفسه للقاء طليق القتيلة الأولى، "مدحت حمودة"..

كان "معتز" قد استعد جيداً لهذا اللقاء وأجرى التحريات اللازمة عن "مدحت"، توصل لمعلومات مفادها أنه شخص متشعب العلاقات واسع النفوذ والإتصالات بحكم عمله.. حتى أن شبكة علاقاته قد تجاوزت القطر المصري لتصل إلى حدود الخليج العربي..

و"مدحت" لم يكن من الشواذ الذين يجاهرون بميولهم، بل كان يضع حاجزاً صارماً يمنع الغير من رفع الكلفة بينهم وبينه بل ويجبرهم على معاملته بكل إحترام.. ربما كان السبب في ذلك يرجع لدراسته وإقامته الطويلة فترة شبابه في باريس، والتي أصبح بعدها لا يجد عيباً أو نقصاً في ميوله المختلفة.. تذكر صورته التي انطبعت في ذهنه حينما كان يراه على شاشة التلفزيون يقرأ نشرة الأخبار الفرنسية وتلك اللثغة الواضحة لديه في حرف الراء..

إنتبه على صوت "عمرو" يقول بعد أن غمز بعينه في إشارة فهمها "معتز":



- مدحت بيه حمودة يا باشا.

أمسك "معتز" بهاتفه متظاهراً بإنشغاله في مكالمة هامة وهو يشير بيده لهما بالدخول، كان يريد فسحة من الوقت يتأمل فيها ملامح "مدحت" وتعبيرات وجهه قبل أن يبدأ في استجوابه..

كان من الصعب على من يرى "مدحت" أن يعرف حقيقة عمره بالرغم من سنوات عمره التي تجاوزت الستين.. كل شئ فيه مرسوم بدقة عجيبة، كأنه نجم من نجوم هوليوود في الخمسينات.. حتى أنك قد تظن أنه عد شعره الفضي قبل أن يرتب كل شعرة بجوار أختها في دقة متناهية.. طويل القامة عريض الصدر، له رأس ضخم وملامح وجه دقيقة.. بشرته القمحية ناعمة شمعية، تلمع لمعاناً غريباً.. يرتدي بذلة سماوية اللون إيطالية التصميم تبرز رشاقة قوامه، يبرز من تحتها قميص كحلي مفتوحة أزراره قليلاً لتسمح بظهور وشاح حريري وردي اللون يحيط برقبتة الطويلة.. فقط بعض التجاعيد الخفيفة خطت لنفسها طريقاً أسفل عينيه الضيقتين، اللتان تطويان داخلهما نظرات صارمة تدل على نمط حياة صاحبها..



”شرفتنا يا مدحت بيه“، قالها ”معتز“ بعد أن تظاهر بإنهاء مكالمته المزعومة..

مد يده يصفح ”مدحت“، الذي صافحه في قوة أثارت دهشته.. بعد فترة من الصمت طلب خلالها ”معتز“ كوبين من القهوة اعتدل في مقعده ثم قال:

- الحقيقة مش عارف يا مدحت بيه أعزي حضرتك ولا أقول إيه.

- مش فاهم قصدك إيه يا حضرة الضابط!؟.

قالها ”مدحت“ وهو يضغط على حروف كلماته، تجاوز ”معتز“ طريقته في الكلام وأكمل:

- أقصد ان القتيلة يعني كانت طليقتك وكان لها علاقات.....

قاطعها ”مدحت“ في حدة:

- أنا ماسمحلکش تتكلم عن صفاء كده، في حاجة اسمها حياة شخصية.. مش معنى انها شخصية عامة ان حياتها تكون مشاع لأي حد يجيب سيرتها.

- حلو جدًا الكلام ده.. طيب سعادتك بقى شفت القتيلة إمتى آخر مرة؟.



- بقالي فترة طويلة ما شفتهاش.
- غريبة!!
- الله يرحمها ماكانتش عاوزة تقابلني.
- ده علشان سبب طلاقكوا؟!، ولا في سبب تاني؟!.
- رmqه "مدحت" في حدة، لكنه تمالك نفسه سريعًا ثم أجاب بنبرة مستفزة:
- على حد علمي من غير سبب، لكن لو عاوز تعرف حاجة تانية ممكن تسألها.
- إغتاظ "معتز" لحديثه اللفظ فقرر مهاجمته:
- البواب بيقول إنك كنت دائمًا بتتردد على شقتها، حتى بعد الطلاق.. إيه رأيك في الكلام ده؟.
- مضبوط، أنا فعلاً كنت بروحها كتير علشان نرجع لبعض، لكنها كانت بترفض تقابلني زي ما قلت لك.
- أmaal كنت بتفضل واقف على الباب.
- لأ طبعًا، كانت داليا بتفتحلي وتقولي ان صفاء مش عاوزة تشوفني. لكن أنا دائمًا كنت بطمن عليها من بعيد.
- كنت فين ليلة الحادثة؟.



- كنت مع بعض أصدقائي، وبعدين صفاء دي كانت بنتي قبل ما تكون حبيبتى ومراقي.

صمت "مدحت" قليلاً بعد عبارته الأخيرة ثم أردف بصوت متهدج:

- الله يرحمها.

إنهار بعدها في البكاء، وانهارت معه كل الحواجز التي كان يحيط بها شخصيته فبدأ رقيقاً ليناً للغاية حين أخذ ينشج كالنساء.. تبادل "معتز" و"عمرو" النظرات لوهلة ثم قام الأخير بمناولة "مدحت" منديلاً ورقياً ليجفف دموعه.. هز "معتز" رأسه ثم قال مخاطباً "مدحت":

- شد حيلك يا مدحت بيه، مش كده.

لم يرد "مدحت" واكتفى بإيماءة بسيطة من رأسه، فأردف "معتز" متسائلاً:

- المرحومة كان ليها أعداء؟.

- إطلاقاً دي كانت زي النسمة، كل الناس كانت بتحبها.

- سمعت اسم إيمان الشهاوي قبل كده؟.

- إطلاقاً.



- معلش يا مدحت بيه هتقل عليك شوية بسؤال
أخير.
- انفضل.
- المرحومة كانت بتتعالج نفسي مش كده؟.
- مضبوط، بعد الطلاق على طول. المسكينة ماقدرتش
تستحمل الصدمة فانهارت تمامًا وأنا حجزت لها...
قاطعها "معتز" في لهفة:
- عند مين يا مدحت بيه؟!، مين اللي كان بيعالجها!؟.
- في مصحة (وايت سيركل).
- تبادل "معتز" و"عمرو" نظرات الحيرة فبادر "مدحت"
بالقول:
- دي أشهر منتجع نفسي في الشرق الأوسط دلوقتي،
وصاحبها دكتور دارس في أوروبا أكيد سمعت عنه،
الدكتور هشام وهدان.

غادر "أكرم" منزله بمصر الجديدة قبل الثانية عشر
ظهرًا بدقائق قليلة، متوجهًا لعيادته كعادته في الفترة



الأخيرة.. لم يكن لديه مكان آخر يتوجه إليه، كانت رغبته عارمة في مغادرة المنزل والأصوات والكوابيس..

اصطفت سيارته في طابور طويل لا نهاية له من السيارات بطريق صلاح سالم، كان الزحام شديداً هذا اليوم بسبب البرك الموحلة التي سببتها الأمطار الغزيرة.. تأفف في ملل وهو يعبث بمفتاح جهاز الراديو في سيارته، أتاه صوت المذيعة تعلن بنبرة متكلفة عن نهاية موجز الأخبار وتخبره باستمرار الموجة الباردة الممطرة لنهاية الأسبوع.. ملح بعينه شعاعاً من الشمس يحاول إختراق السحب المتكاثفة في السماء فأغلق الراديو متمتماً في ضيق: "أفلح إن صدق" ..

كان مزاجه متعكراً منذ الصباح الباكر، لا يريد تكرار زيارته لعيادة "هشام" .. إلا أنه يعلم بحالته النفسية السيئة، يعلم بحاجته إلى المساعدة النفسية أكثر من أي وقت سبق.. لكن ما أثار حنقه حقاً كان سلوك "ليلي" .. "ألم تجد سوى هشام لتلجأ إليه؟!"، حدث نفسه..

لم يكن يريد إفتعال المشاكل معها يكفيها ماهي فيه.. نفخ في سأم حين رأى مطلع كوبري أكتوبر وقد أصابه أصابه شلل مروري تام.. تحرك بسيارته أسفل الكوبري



إلى ميدان العباسية وغمرة، ثم أشعل سيجارته.. نفث مع دخانها غضبه وحنقه، معها هدأت أعصابه قليلاً.. إلا أن الأفكار والذكريات أخذت تتداخل في نفسه..

فكر في كل تلك اللحظات التي لن تعود ثانية، شعر بأنه نهب عاصفة مرهقاً بعبء الندم والإحساس بالذنب.. لم يكن على ما يرام بعد أن أصابته تلك الغصة الموجعة في حلقه، ثقل ذهنه من تتابع صور ابنته "فريدة" أمامه.. تذكر كل شئ، واشتاق لكل شئ.. لمستها الطفولية ونعومة خديها.. أول محاولة لها للمشي، أول كلمة نطق بها لسانها.. يداها الصغيرتان اللتان كانت تحركهما في كل اتجاه قبل أن تستسلم للنوم.. كان يستمتع في ألم بتذكر كل ما غاب عنه للأبد، كأنه يجلد ذاته..

دمعت عيناه وهو يذكر تلك الليلة التي حمل فيها "فريدة" بين يديه للمرة الأولى في مستشفى الولادة.. كان متأثراً للغاية، خجلاً لكونه كان يرفض الإنجاب.. كان يرى أن إنجاب المزيد من الأطفال في هذا العالم البائس ظلم فادح لهم..

"كم كنت أحمقاً"، غمغم في حزن..

داهمته الذكريات بقوة فرأى تمامًا ما شاهده آنذاك.. طفلة صغيرة جداً متدثرة بغطاء قطني أنيق، أصرت



”ليلي“ على شرائه قبل ولادتها.. لها وجه متغضن وعينان مغمضتان.. تحرك يديها الصغيرتان في كل الاتجاهات.. في تلك اللحظة لم يكن يعرف أنها ستشغل يوماً كل تلك المكانة في قلبه.. وأن تلك المخلوقة الصغيرة ستغدو أهم عنده من نفسه.. لم يكن يتخيل أن مجرد وجودها في حياته سيمنحه كل هذا القدر من الفرح.. فجأة فتحت الصغيرة عينها ونظرت نحوه بقوة، كأنها كانت تبلغه برسالة مفادها أنها في حاجة إليه.. سألت دموعه واعتزته مشاعر قوية، استحوذ عليه حب لا حدود له.. أغمض عيناه في ألم حين تذكر أن فقدانها قد غير مجرى حياته إلى الأبد..

”يا حماااااار..“

إفاق من نوبة ذكرياته وشجونه على تلك الصيحة، وصوت فرامل حادة إلى جواره.. إنتهه لكونه كاد أن يتخطى الإشارة الحمراء لميدان التحرير.. هز رأسه بقوة رافعاً يده بالإعتذار وهو يرمي بنظراته صوب عسكري المرور، الذي سرعان ما أخذ يدون رقم سيارته في دفتر المخالفات المتختم عن آخره..

تلفت حوله كأنه يحاول العودة لعالم الواقع، تأمل لبضع ثوان حركة المرور المنتظمة في الميدان.. القادمون



من عبدالمنعم رياض، الذاهبون تجاه مسجد عمر مكرم..
العابرون من البوابة الحديدية الضخمة عند القصر
العيني، المتجهون إلى طلعت حرب..

دق بأصابعه في عصبية على مقود السيارة، كان لا
يزال يشعر بتعكر مزاجه عند مروره في هذا الميدان
من جديد.. فما جرى فيه لن ينمحي من ذاكرته أبداً..
الفرحة التي شعر بها حين خالط الناس، إحساسه بالمساواة
بين الجميع.. المبيت في العراء في عز الشتاء، تبادل الطعام
بين الكل.. أصوات الأذان وأجراس الكنائس، تراتيل الغناء
وهمهمات الشعراء.. النقاشات السياسية الصاخبة، والنكات
البذيئة الساخرة.. نقل الجرحى والمصابين.. مات كثيرون في
سبيل حلم لم يروا تحقيقه..

رأى ضوء الإشارة يخضر فضغط بقدمه في قوة على
دواسة البنزين، انطلقت سيارته سريعاً.. مغادرة الميدان
يميناً في إتجاه الدقي، كأنه يفر من تلك الذكرى التي ما
عادت بالنسبة له سعيدة.. لم يعد يذكر ما الذي دفعه
للنزول إلى الميدان آنذاك، لكنه نزل.. ومنذ ذلك الحين
تغير بداخله شئ لا يستطيع تحديده، تغير إلى الأبد..



هز رأسه في أسف حين تذكر ما يقوله الناس الآن من
أن الحياة قد عادت إلى مجراها الطبيعي، ثم حدث نفسه
في حنق:

- لم يعد شئ كما كان أبدًا.

إرتسمت على وجهه إبتسامة حزينة وهو يحدث
نفسه في سخريّة مريّة:

- لتتخلص من الماضي بك يا صباح، يا حديقتي الرائقة.



(٨)

جلست "ليلى" أمام مرآتها على غير عاداتها في الفترة الأخيرة، تتزين للقاء "هشام وهدان".. كان قد حدثها مرارًا صباح اليوم، لكنها أخبرته أن ينتظر حتى يغادر "أكرم" البيت.. كانت عيناها الواسعتان الغامقتان تلمعان، لكنه لم يكن لمعانًا يدل على سعادة أو فرح.. بل كان ينم عن شعور فظيح بالضيق والضجر، يكاد هذا الشعور يقفز خارجًا من بين أهدابها الطويلة ليسيطر على ملامح وجهها القمحي بأكملها..

نظرت مليًا لانعكاس صورتها في المرآة أمامها.. كانت تعلم جيدًا أنها جذابة، لكن ما كان يؤلمها أن أحدًا لم يقل عنها أبدًا أنها جميلة.. كانت تظن أن هذا هو السبب في أن حياتها كانت وما زالت رتيبة، لم تعرف أحدًا في حياتها سوى "أكرم"..



”رَما لو كنت شقراء أو من صاحبات الشعر الأحمر
لكان حظي مختلفًا“.. هكذا حدثت نفسها في مرارة..

مطت شفيتها الممتلئتين في قرف حين رأت تلك الظلال
الرفيعة أسفل عينيها، والتي كانت تبدو أكثر وضوحًا خلال
الليل.. كأنها أصابها الملل من هذه الصورة التي باتت
تراها دومًا، وتذكرها بسنوات عمرها الأربعين.. مدت يدها
تلتقط مشطها ذو الأسنان الواسعة، أخذت تمشط شعرها
الأسود الطويل اللامع الذي انسدل على كتفيها في نعومة..
كانت تمشطه بحدة وعنف لا يتناسبان مع نعومته، كأنها
تريد نزعها من فوق رأسها.. كما باتت تريد نزع نفسها
من حياتها بأكملها..

ابتسمت في سخرية حين تذكرت كيف كانت تحب
”أكرم“ فيما مضى قبل وفاة ”فريدة“، كانت لا تتصور
الحياة بدون وجوده.. سرح خيالها بعيدًا حين داعبته
ذكريات الماضي البعيد وأيام العباسية..

تذكرت ذلك اليوم الذي عرفت فيه من أمها بقدم
”أكرم“ للإقامة في شقة عمته، جارتهم التي تقطن في الشقة
الملاصقة لبابهم.. كان وقتها صبي لم يتجاوز الخامسة عشر
ربيعًا، كانت هي في الثالثة عشر.. سمعت من أمها آنذاك
أن والده ضابط كبير في الجيش وأنه انفصل عن والدته، ولم



يجد سوى أخته ليأتمنها على تربية ولده الوحيد.. تركت تلك الحكاية في نفسها أثرًا عميقًا، خليط عجيب من الشعور بالشفقة عليه والإحساس بالمسئولية عنه.. كانت ترى أن إبعاد صبي عن أحضان أمه في هذه السن المبكرة ظلم كبير..

لكن كانت صدمتها مماثلة حين مات أبوها، وتركها وأخوتها في رعاية أمها ربة المنزل.. تأثرت حالتهم المادية كثيرًا برحيل عائل الأسرة ورجلها، لم تجد الأم بدًا من العمل في حياكة ملابس جيرانها في العمارة.. ثم توسع عملها ليشمل سكان الشارع حتى باتت مشهورة في نطاق الحي بأكمله..

ترك عمل الأم في نفسيتها شرخًا عميقًا، ونظرة منكسرة لم تتخلص منها حتى الآن.. كانت وحيدة دائمًا بلا صديقات لأنهن كن يأنفن من مصادقة ابنة الخياطة.. وحده "أكرم" من كان يحوطها بابتسامته العريضة الواسعة.. كانت تلك الإبتسامة بالنسبة لها آنذاك هي الدنيا وما عليها..

أحبه من أول نظرة.. كانت تعلم أن الفتاة إذا ما أحبت فإنها تندفع وراء حبها في تهور، تفتح كل الأبواب أمام حبيبها.. لكنها وجدت الأمر مع "أكرم" مختلفًا.. كان يعاملها برفق واحترام، كأنه مسئولًا عنها.. شيئًا فشيئًا



بدأت تحمله مسئوليتها بالفعل.. كانت تسأله في اختيار ملابسها، تستأذنه قبل مصاحبة زميلاتها حتى عندما كانت تخرج مع أمها كانت تستأذنه.. رضخت لرأيه دون مناقشة.. ساعدت أزمة أسرتها المالية حبها، لم تجد أمها مفرًا من السماح لـ "أكرم" بالمذاكرة لابنتها خاصة وأنه كان متفوقًا في دراسته والتحق بكلية الطب ثم تخصص في قسم النفسية والعصبية.. ساعدها هذا القرب منه على التفوق أيضًا.. والتحقت مثله بنفس الكلية، ثم تخصصت في طب الأطفال..

مضت حياتهما أيام الجامعة على وتيرة واحدة، هي تحبه وتعمل كل جهدها لإرضائه وهو يتحمل مسئوليتها كأب أو أخ.. حتى صارحته ذات يوم بحبها ففاجئها بإعتذار مهذب، أخبرها أنه غير مستعد للإرتباط.. برر لها إعتذاره برغبته في اللهو كسائر الشباب، ولأنه يحترمها ويقدرها فلن يتمكن من اللهو معها.. صدمتها إجابته فأصابها المرض لفترة.. ابتعدت خلالها عنه تمامًا، حاولت نسيانه لكن صورته كانت لا تفارق خيالها أبدًا..

مرت سنوات ولازال "أكرم" مستمر في لهوه وعبثه، وهي خائبة في التخلص من صورته التي لا تفارقها لحظة واحدة حتى بعد تخرجها بتقدير امتياز وتعيينها معيدة



بالجامعة.. كثيراً ما تردد في صدرها سؤال لم تتمكن من الإجابة عنه:

”لماذا لا تزوج هشام عوضاً عن أكرم؟“..

كانت تعلم يقيناً أن ”هشام وهدان“ زميل ”أكرم“ في الدراسة يهيم بحبها، كانت نظراته وتصرفاته دائماً ما تفضحه.. لكن قلبها أبي أن يساعدها، فأخذت تخطط لاستعادة ”أكرم“ مرة أخرى..

درست شخصيته وحللتها جيداً.. وجدته مغروراً يريد أن يشعر أنه أقوى من أية فتاة، يرغب في السيطرة والاستحواذ على قلبها دون مقابل.. وجدته غير مستقر، حياته عابثة كأى شاب في مثل ظروفه أرغمته الحياة على مفارقة حضان أمه وكنف أبيه.. حين حددت علتة بدأت على الفور في تنفيذ خطوات العلاج..

بدأت تشبع غروره، تعمدت أن تكون هي الفتاة الأكثر جاذبية في أي مكان يجمعهما.. لم تترك عاطفة هادئة كانت أو جامحة إلا وسلطتها عليه.. حتى أنها كانت تتعمد أحياناً إغاظته وإثارة غيرته حين كانت تسمح لـ ”هشام وهدان“ بتوصيلها من الجامعة حتى مدخل العمارة.. كانت تعلم بأن علاقتهما ليست جيدة، ”هشام“ يغار من ”أكرم“ ويراه شاباً ثرياً مدللاً.. و”أكرم“ ينظر إلى



”هشام” من علياء، ويراه غير جدير بحمل لقب طيب نفسي.. كثيراً ما كان يردد أمامها:

”كيف يحل عقد الناس ومشاكلهم من كانت حياته مليئة بتراكيب النقص والدونية؟!“..

نجحت في سعيها بجدارة فعاد ”أكرم“ يتقرب منها، لكنها كانت تتدلل عليه.. في نفس الوقت كانت تعلم أن الوقت قد حان لإتخاذ الخطوة الثانية.. أن تجعله مستقراً، بمعنى أدق أن تربطه بجدول حياتها.. فسمحت له بمحادثتها من جديد في الهاتف.. كان قد تخرج واستلم عمله في مستشفى الأمراض العصبية والنفسية، فتح عيادته الخاصة في شقة أمه بالدقي.. بدأ يعتاد على مكالماتها، كان يكلمها قبل الذهاب للعمل، وفي أثناءه وفور عودته.. وكثيراً ما كان يحدثها قبل نومه..

أصبحت حياته مستقرة، منتظمة في روتين يومي يتطابق مع جدول يومها.. لم يكن عصياً عليها بعد ذلك أن توحى له بالتقدم للزواج بعد حصولها على شهادة الدكتوراة..

أخرجها من برّ ذكرياتها الدفينة صوت جرس الباب، أخبرها حدسها أنه ”هشام“.. قامت واقفة بطولها أمام المرأة، ودارت حول نفسها دورتين.. تتأمل هيئتها للمرة



الأخيرة قبل أن تلقى "هشام" .. ابتسمت حين رأت قوامها
المتناسق الذي تمكنت من الحفاظ عليه بالرغم من
تقدمها في العمر.. ثم تقدمت خارج الغرفة في اتجاه باب
الشقة لتفتح له الباب..

وجدته كما هو، لم يتغير فيه شئ كأنها قد تركته
بالأمس.. فقط باتت ملابسه أكثر تناسقًا وأناقة، وتلك
الليحة الدوجلاس على وجهه ذكرتها على الفور بهيئة
"أكرم" أيام الجامعة..

- إزيك يا ليلي.

أجابت بابتسامة هادئة ثم تحركت جانبًا تفسح له
مجالًا للدخول.. دخل "هشام" والرهبة تملأ قلبه، خيل
إليه أنه يسير في حلم انتظر تحقيقه طوال عمره.. هدوء
جميل يسيطر على أجواء البيت، آنيات الورود الصناعي
موضوعة في أنيقة ظاهرة.. أثاث كلاسيكي متراس في نظام..
كل شئ في المكان يدل على شخصية صاحبه "ليلى"، تمامًا
كما كان يتخيل..

تبعها كالمسحور حتى وصلا إلى الصالون، فجأة شعر
بالضالة حين رفع رأسه فرأى صورة زفاف "أكرم" و"ليلى"
الضخمة تتوسط الحائط المقابل لمدخل الصالون.. أحس
بشخصيته تضعف أمام نظرات "أكرم" الواثقة في الصورة،



إبتسامته الساخرة التي دوّمًا ما أثارت حنقه وود معها لو لكمه فحطم أسنانه.. لم يكن البيت أفخم من بيته الذي كبده تأثيثه ثروة طائلة، لكنها كانت شخصية "أكرم" التي تملكته منه وسيطرت عليه.. كانت هي التي أشعرته بالرهبة منذ البداية..

أشاح بعينه بعيدًا عن الصورة ثم جلس على أريكة وثيرة بعد أن أشارت له "ليلى" بيدها، جلست على مقعد مجاور له.. ساد الصمت بينهما فترة لم يرفع "هشام" خلالها عينيه عنها، كان كالظمان الذي وجد ماءً في الصحراء بعد بحث مضمّن وزمن طويل.. أخيرًا تغلب "هشام" على حاجز الصمت قائلًا في صوت خافت:

- لسه زي ما انتي يا ليلى.

صمت قليلًا ثم أردف هامسًا:

- حلوة.

لم تعقب، لكنها أرخت عينيها في خفر وتورد خذاها قليلًا.. شجعه ذلك على مواصلة الحديث فقال:

- مش قادر أصدق أننا لوحدنا أخيرًا.. تعرفي إني حاولت أشوفك، لكن ماكنتش عارف أوصلك.. حتى لما جبت رقمك من زمايلنا في الجامعة وكلمتك كثير، لكن ما



- كنتيش بتردى.. لغاية لما كلمتيني ما صدقتش نفسي،
كنت طاير من الفرحة حسيت زي ما اكون.....
- هشام انا محتاجة لك دلوقتي اكر من أي وقت.
قاطعته "ليلي" بصوت خافت فتشجع "هشام"، اقترب
منها قليلاً وهو يقول:
- إلى تؤمري بيه، انت بس شاوري وأنا عليا التنفيذ.
صمتت ولم ترد، إزداد توردها أكثر فأردف "هشام"
بنبرة رقيقة:
- مش هقولك انت الي فضلتيه عليا زمان، لأني عارف
ان كل شئ نصيب.. لكن هقولك انك مش لازم عملي
نفس الغلطة مرتين.
- رفعت عينيها الساهمتين نحوه ثم قالت بصوت
خافت:
- تقصد إيه يا هشام؟.
- قصدي إنك لازم تسيبيه، إطلبني منه الطلاق.. ولو ما
وافقش أنا ممكن أخليكي تتطلقني غصب عنه.
- إزاي؟.
- ده إنسان مختل، مش طبيعي.



- يعني إيه؟!.
- لسه لغاية دلوقتي مقدرتش أحدد هعمل معاه إيه، لكن كل اللي أقدر أقوله أن عقده أعماق بكتير من موضوع موت فريدة.
- مش عارفه يا هشام لكن الموضوع ده...
- مفيش حاجة اسمها مش عارفه، انتِ هتطلقي منه وأنا هتجوزك.

طوال الطريق من قسم شرطة قصر النيل وحتى منزل عائلة "يُمى" بالمنيل كان المقدم "معتز" مشغول الذهن.. يفكر بجدية في أمر تلك القضية التي لم يعد لديه شاغلاً سواها.. كان يعتبرها قضية هامة في مشواره الشرطي، خاصة مع الإهتمام الواضح بها من جانب قياداته سواء في المديرية أو الوزارة.. تذكر ما قاله له "عمرو" قبيل مغادرته للقسم:

- داليا يا باشا، اتصلت بسيادتك وعاويزة تيجي تقابلك.
- اه، داليا، داليا..



خبط جبهته بكفه وهو يلعن ذلك التخبط الذي أصبح عليه مؤخراً، أفاق على صوت فرملة قوية فالتفت للسائق يرمقه بحدة وقال:

- قلة التركيز دي هتوديكي في ستين داهية.

أشعل سيجارته وسرح ببصره يتأمل الطريق، ومع شروده تذكر لقاءه السابق مع "داليا" ابنة اخت القتيلة الأولى.. كانت فتاة فائقة الجمال، شديدة الشبه بخالتها.. أخبرته حينها أنها ترغب في العمل بالفن، لكن أهلها رفضوا بشدة فلجأت لخالتها.. غير أنها فوجئت برفضها هي الأخرى، حتى أنها لم تكمل الإنصات لها وقتئذ.. أخبرتها أنها يجب عليها الإهتمام بتعليمها ومستقبلها، أعطتها مبلغاً من المال لتعطيه لأمها.. منذ ذلك اليوم أصبحت "داليا" تتردد عليها كل فترة لتحصل منها على المصاريف التي لم يكن والدها يتمكن من التكفل بها، ولا شئ أكثر من ذلك..

"ما الذي جد لديها لتطلب لقايتي؟!"، حدث "معتز" نفسه.

هز رأسه باعداً عنها التفكير في العمل حين إنتهه إلى أنه اقترب من منزل "يمنى".. التفت للمقعد الخلفي



بالسيارة، ابتسم لرؤيته علبة كرتونية عليها علامة "لابوار"
التجارية.. حدث نفسه وهو يبتسم بيقين :

- سيفرح أدهم بها، أكيد.

لكنه سرعان ما قطب جبينه حين تذكر أنه أخبر
"عمرو" بالشراء من "لابوار" لأنه كان محل "يمنى"
المفضل.. هاجت مشاعره وتضاربت أحساسيسه حين فكر
فيما وصل إليه حالهما.. لم يكن يتصور قط أن تصل
أحاديثهما ذات يوم إلى هذه الدرجة من الجفاء والقسوة..
كيف يمكن لشخصين كانا مقربين لهذه الدرجة أن يتصرفا
كغريبين؟!.. رمى بسيجاته من نافذة السيارة في حدة وهو
يتمتم في حنق:

- أي أحمق كنت؟!.. بالطبع كان ذلك ممكناً.

كل ما كان متوجّباً عليه فعله أن ينظر حوله فقط،
فعمله كان هو السبب.. رغبته المحمومة في النجاح والارتقاء
كانت هي السبب، إيمانه المترسخ في عقله منذ زمن بعيد
بأن المضحين بجزء من حياتهم العائلية كانوا وحدهم من
يضمنون النجاح.. ذلك هو القانون الغير مكتوب.. والتمن
المطلوب دفعه ببساطة هو استقراره العائلي.. وقد قبل
"معتز" ذلك عن طيب خاطر فلم الشكوى الآن؟!..



“أدهم هو السبب”.. حدث نفسه وقد لمعت الدموع
في عينيه..

كان قد علم أنه يحيا حياة مضطربة بسبب انفصاله
عن “يُمنى”، عرف من حماته ذات يوم أنه بالرغم من
كون “أدهم” قد تخطى السابعة من عمره إلا أنه لا
يزال يبلى سريره أحياناً.. منطوياً على نفسه في المدرسة، لا
وجود للأصدقاء في حياته..

حول هاتفه المحمول للوضع الصامت حين وصل
أسفل العمارة، ضغط على الجرس وهو يرتب هندامه
لللقاء “أدهم”.. و”يُمنى”..

طال وقوفه أمام باب الشقة حتى كاد أن يطرق الباب
بكفه الغليظة، لكنه توقف حين فُتح الباب فجأة بعنف..
رسم على وجهه إبتسامة مغتصبة وقال بنبرة متصنعة:

- إزيك يا طنط؟.

- معتز!!، أهلاً.. ردت الحماة العجوز وهي تلوي شفتها
السفلى في ازدراء.

حدثته نفسه الأمانة بأن ينادي سائقه من أسفل،
ويصحبها معه في جولة سريعة بالقسم.. إبتسم حين
تخليها معلقة أمامه من قدميها.. دخل يزيحها بكتفه



عن مدخل الشقة التي يحفظ أركانها عن ظهر قلب ثم
قال بصوت مرتفع لتسمعه "يُمنى" و"أدهم":
- أُمال فين أدهم، دا أنا جاي مخصوص علشانه.

انتبه لمن يتعلق في رقبتَه من الخلف وصوت ضحكته
التي يعشقها يرفرف في أرجاء روحه.. سريعًا وضع علبه
التورته على منضدة قريبة ثم أمسك بابنه يقبله من فوق
كتفه، يقبله في حنان بالغ.. جلس على أريكة بالقرب منه
وأجلس "أدهم" على فخذه ثم أخذ يحدثه ماسحًا بكفه
على رأسه، لمح حماته تغادر الصالة وهي تتمم بعبارات
الإمتعاض.. تجاهلها تمامًا ومضى يتحدث مع "أدهم"
عن كل شئ وأي شئ، فقط كان يرغب في التحدث معه..
حدثه "أدهم" عن رحلته المدرسية لحديقة الحيوانات
بانهار شديد..

الغريب في هذا اللقاء أن "معتز" لم يكن أبدًا يتحدث
مع ابنه بهذا القدر.. فقط عندما أخذته "يُمنى" وغادرا
المنزل..

"إزيك يا معتز" ..

كاد قلبه أن ينخلع من مكانه حين سمع صوتها
مجددًا.. رفع رأسه نحوها وقال بصوت خافت:



- ما سمعتكيش وانتِ داخله.

وضعت "يُمنى" فنجانًا من القهوة الساخنة على المنضدة أمامه، حاول مساعدتها في وضعه لكنها سحبت يدها سريعًا.. كانا مرتبكين كعاشقين افترقا بسبب ظروف الحياة.. رشف من فنجانه رشفة صغيرة ثم تنهد في ارتياح، كانت قهوتها هي الوحيدة القادرة على إصلاح مزاجه.. نظر نحوها ثم قال في نبرة حانية:

- تعرني إني لغاية دلوقتني مش عارف أشرب قهوة غير من أيديك.

لأول مرة من مدة طويلة يرى ابتسامة خفيفة على وجهها.. شجعته ابتسامتها فأردف قائلاً:

- بقالنا كثير ما اتكلمناش مع بعض.

تراجعت "يُمنى" في مقعدها، انكملت فيه ولم تعقب.. قرأ "معتز" في صفحة عينيها غيمة حزن.. كاد أن يسألها عنها، لكن "أدهم" ابتدره قائلاً:

- ماما قالت لي انها مش مبسوطة هنا يا بابا.

- مالك يا يُمنى؟

- مفيش.



- أنا حافظك كويس، بلاش تخبي عليا.
- التزمت "يُمنى" الصمت ولم ترد، فأكمل "معتز":
يا يُمنى أنا بحاول أحافظ على البيت ده لغاية آخر لحظة، من فضلك بلاش نخسر اللي...
قاطعته "يُمنى" في حدة وقالت تغالب دموعها:
- تحافظ على البيت، إحنا خسرنا كل حاجة من وقت طويل يا حضرة المقدم.
- تجاهل "معتز" سخريتها من عمله وقال بهدوء:
إيه إالي جابنا هنا يا يُمنى؟!
- انت عارف كويس قوي إيه إالي جابني هنا.
- الله يرحمك يا عمي، لولا موتك ما كانش حاجة من دي.....
- مالكش دعوة ببابا، المشكلة عندك انت.. انت مابقيتش الراجل إالي أنا حبيته وحاربت الدنيا كلها علشان اتجوزه.
- يعني خلاص مش بتحبييني.
- أنا ماقلتش كده.



- انتِ صحيح عارفاني من زمان يا يُمنى، لكن أنا هتغير.. حقيقي هتغير.
- أرجوك يا معتز كفاية كده، انت شغلك هو حياتك.. واحنا مجرد جزء بسيط فيها.
- ما هو انا لازم اشتغل، وبعدين انا بشتغل علشان مين؟.. مش علشان اقدر اسعدكوا!!!
- احنا كنا سعداء يا معتز، كنا سعداء.. لكن انت الي عمرك ما كنت حاسس بينا.

أنهت "يُمنى" عبارتها الأخيرة ثم غادرت الصالة مسرعة وهي تمسح دموعها المنهمرة.. حاول "معتز" اللحاق بها لكن حماته وقفت أمامه بعد أن وضعت يديها على خصرها، تنظر له في تحد واضح.. تمالك أعصابه بصعوبة وربت على شعر "أدهم" ثم انصرف مغادراً..

على سلم العمارة سالت دمعة من عينه حين حدث نفسه قائلاً:

"ليس هذا هو النجاح، إن استمر إهمالي لهما فلن أكون ناجحاً أبداً" ..



(٩)

دخل "أكرم" إلى عيادة "هشام" عابثًا، كان مجرد تفكيره في لقاء الأخير سببًا كافيًا لذلك التجهم الذي ارتسم على قسماته.. لكن مكالمته "ليلي" معه منذ ما يقرب من الساعة كان لها أثر كبير في تراخيه عن تنفيذ رأيه، لم يكن يريد أن يزيد حزنها.. فمنذ وفاة "فريدة" لم يحاول فرض رأيه عليها أبدًا..

بقي منتظرًا مُسَاعِدَة "هشام" لفترة كي تسمح له بالدخول، ظل خلالها يلعنه في سره.. بعد أن كان لقاءه سببًا في ذهاب إحساسه بالإنعاش حينما انتهى لقاءه الساخن مع حديقته الغناء "صباح" ..

"إتفضل يافندم" .. جاءه صوت المُسَاعِدَة..

لم يرد واكتفى بإيماءة خفيفة من رأسه، رسم على وجهه تعبيرًا جامدًا بدا معه أقرب لتمثال شمعي ثم



دخل إلى غرفة "هشام" بخطوات واثقة.. فور دخوله أحس بعيني "هشام" تفتشان في ملامحه كأنه يحاول أن يقرأ أفكاره، لكنه ظل محافظاً على جمود وجهه حتى لا يتمكن من قراءة شئ خلاله.. وقف في منتصف الغرفة أمام مكتب "هشام" بالضبط ثم قال بنبرة واثقة:

- تحب أريح على الشيزلونج؟!!

صمت لولهة ثم أطلق ضحكة ساخرة وهو يقول:

- مش العيانين بتوعك بينماوا عليه برضه؟!!

- مش مهم.

أجاب "هشام" بنبرة هادئة.. لكن "أكرم" واصل استفزازه وتحرك نحو الأريكة ملقياً جسده فوقها وهو يقول متحدثاً:

- لآ، هنام على الشيزلونج.

تجاهل "هشام" تصرفاته العدوانية تماماً والتزم الصمت، فقط أمسك بمفكرته الصغيرة وشرع يدون فيها بعض الملاحظات.. بعد فترة من الصمت قال "أكرم":

- تحب نبدأ منين؟!

- زي ما تحب.



فرد "أكرم" ساقيه على الأريكة ثم شبك كفيه فوق صدره وأغمض عينيه.. قال بعد فترة من الصمت:

- أنا بس عاوزك تبقى عارف إني مش هقولك على كل حاجة، لأني عارف كل أسراري.. مش محتاج مساعدة منك في اكتشافها واخراجها من عقلي الباطن.

- مش كفاية انك تعرف كل اسرارك، المهم انك تعرف أي سر فيهم هو اللي مسبب لك المشكلة.

فتح "أكرم" عينيه وقال محتدًا:

- مش إذا كان عندي مشكلة من الأساس!!

- أظن ان دي حاجة أنا اللي بحددها، مش كده يا دكتور أكرم؟!.

أغمض "أكرم" عينيه مرة أخرى، وبدا كأنه يعاند نفسه قبل أن ينطق بكلمة واحدة.. بعد فترة قصيرة خرج صوته هادئًا بطيئًا كأنه يسحب ذكرياته من جب عميق، وقال:

حين انفصل أبواي كنت في الخامسة عشر من عمري.. انتقلت للإقامة مع أمي في بيت والدها في البداية لكني لم أسترح هناك.. سريعًا استعادني أبي وأخذني عنده، بالطبع لم يكن وقته يسمح برعايتي لانشغاله الشديد بحكم عمله.. أخذني في أحد الأيام لعمتي بالعباسية.. كانت



أرملة لم تنجب، في هذا اليوم كانت عمتي شديدة اللطف
بادية الحنان.. بالغت في تدليلي حتى أني أحسست نحوها
بعاطفة تقارب ما أحسسته تجاه أمي.. حين عدنا لبيت
أبي أخبرني بأنه يطلب رأيي في الانتقال للإقامة مع عمتي..
لم يكن في الحقيقة يخبرني بل كان يبلغني.. ذهبت بعدها
بأيام قليلة لبيت العباسية.. وكان هناك فارق كبير بين
أمي وعمتي.. كانت أمي مثقفة، تحب الموسيقى والقراءة
والسينما.. ربتني على أن أكون مثلها، كثيراً ما ناقشتني
في الكتب التي كانت تعطيها لي.. لا أذكر أنها في يوم
قد ضربتني.. وكذا كان حال أبي فعلى الرغم من طبعه
المتزمت، لكنه أبداً لم يمانع ما كانت تفعله أمي معي..
أما عند عمتي فقد كانت حياتي عبارة عن مجموعة من
التعليمات والأوامر، ولا شئ أكثر من ذلك.. المفروض أن
تفعل هذا، لا تفعل هذا.. هذا خطأ، ذاك عيب.. سرعان
ما فقدت قدرتي على الإحتمال وتحديثها.. وقفت أمي
معي وأيضاً أبي، لكن ذلك لم يدم طويلاً.. فبعد أن ماتت
أمي أصبحت عمتي شئ آخر..

سكت عندها "أكرم" ووقف سريعاً ثم قال في حسم:

- أظن كده كفاية النهاردة.

- كانت بتضربك؟.



- مين دي؟!.

- عمتهك.

رمقه "أكرم" بغیظ ولم یرد علی الفور، كان یعلم ما یحاول "هشام" فعله.. كان یحاول استدرجه إلی الکلام حین شعر أنه سیتوقف..

"طیب، لئ من سیتحمل للنهایة یا دکتور" ..

حدث "أكرم" نفسه وهو یلقى بجسده علی المقعد الوثیر المواجه لمكتب "هشام" .. تفرس فی ملامحه جیداً ثم قال:

- انا عاوز أحكي عن حاجة تانية.

- خد راحتك، انا هنا علشان اسمعك.

- متأكد؟!.

تجاهله "هشام" كأنه لم یقل شیئاً وتظاهر بكتابة بعض الملاحظات فی مفكرته، لكن "أكرم" لمح تلك الحركة التلقائية بتعديل وضع نظارته الطیبة حین یكون متوتراً.. أدرك اقترابه من تحقیق مسعاه، فقال علی الفور:

- عاوز أكلمك عن صباح.

- مین صباح؟!.

- دي اللي كنت معاها قبل ما اجیلك علی طول.



- معاها ازاي؟!.

- كنت نايم معاها.

بدا على نظرات "هشام" شئ من الغيرة، لمحه "أكرم" فذكره بتلك الغيرة التي كان يشتم رائحتها في صاحبه أيام الجامعة.. فقال:

- تحب أكمل؟.

- طبعًا.

أراح "أكرم" ظهره على المقعد الوثير ووضعه ساقًا على ساق ثم قال كأنه يحكي لنفسه:

لعلك تعلم في قرارة نفسك أنني لا أرغب في مواصلة هذه الجلسات معك، لكنها "ليلى".. كان ذلك يسبب لي ضغطًا كبيرًا، قررت أن أنفس عنه بلقاء "صباح".. ذهبت للعيادة بعد الظهرية بقليل، أتتني هي بعدها ببرهة.. دخلت إلى الحمام كعادتها ثم خرجت كأنها تلمع، وقطرات الماء تنساب في لين فوق بشرتها الناعمة.. شعرها الغجري أكسبه البلبل إغواءً مضاعفًا.. وقفت تنظر نحوي في غواية، ضامة شفيتها في قوة.. اقتربت مني وتعلقت ذراعيها في رقبتني، كانت أنفاسها هادئة تمامًا.. أسبلت عينيها وأزالت ضمة شفيتها فبدتا ممتلئتين، كثمرتي فراولة ناضجتين تدعوانك



لالتهاهما.. حين ضممتها والتقمت شفتيها شممت رائحة رائقة، كأنها رائحة طفل صغير..

قاطع حديثه صوت هاتف المكتب يرن في إلحاح..
رفع "هشام" سماعته صارخًا في محدثه:

- أنا قلت مية مرة مفيش مكالمات لما يكون عندي جلسة.

صمت قليلاً ثم نظر نحو "أكرم" وهو ينصت لمحدثه في جدية، قال بعد لحظات:

- معلش يا أكرم هعطلك معايا شوية.

- خير في إيه؟.

"المقدم/ معتز الشامي يا دكتور" .. جاءهما صوت المساعدة يقول في نبرة رسمية..

نهض "هشام" من خلف مكتبه يستقبل "معتز"، بينما بقي "أكرم" جالسًا فوق مقعده الوثير دون أن يظهر على وجهه أي تعبير.. صوب "معتز" نظرة متسائلة نحو "أكرم" ثم قال مخاطبًا "هشام":

- أقدر أتكلم معاك على انفراد يا دكتور؟.

- اتفضل يافندم، مفيش حد غريب.. ده صديقي وزميلي الدكتور أكرم رشدي.



صافحه "معتز" وهو يتفرس في ملامحه ثم قال بعد أن جلس على المقعد المقابل لمقعد "أكرم":

- طيب عظيم، إذا كان كده بقى يا دكتور هشام حضرتك تعرف صفاء عبد الحميد؟.

اهتزت عين "أكرم" اليسرى قليلاً حين سمع اسم "صفاء"، لكنه تمالك أعصابه سريعاً وتظاهر بكونه لم يسمع شيئاً.. بينما قال "هشام" على الفور:

- أكيد، هو في حد ميعرفش النجمة الجميلة.

- يبقى أكيد عارف انها اتقتلت.

- سمعت انها اتقتلت، لكن معرفش.. المعرفة دي بتكون يقين يا سيادة المقدم، لكن كلام الجرايد والفضائيات والحاجات دي انت عارف انها في الغالب بتكون تهويل ومش حقيقة.

- طيب يا دكتور، انا عرفت انها كانت بتتعالج عندك من فترة.

- ده صحيح.

رمقه "أكرم" بحدة متعجباً من كونه لم يعرف منها هذا الأمر من قبل.. لكنه تجاوز عن ذلك وأنصت لهما حين سمع "معتز" يسأل "هشام":



- هي المرحومة كانت عندها إيه بالضبط لما كانت عندكم؟
- أبدأ، شوية أعراض من بتاعة الشهرة.. اكتئاب، فقدان شهية .
- بس أنا عرفت انها لجأت لك بعد صدمتها في ميول زوجها الشاذة، ده حتى مدحت حمودة هو اللي دفع فاتورتكم الكبيرة.
- تفرس "هشام" في وجهه لبرهة ثم قال في هدوء:
سيادتك عارف ان دي اسرار المرضى بتوعى، وأنا لا أقدر اني افشيها.
- لكن ده تحقيق في جريمة قتل، وانا فضلت اتكلم معاك الأول قبل ما نجيب اذن النيابة والشغل ده..
- قلت اكيد واحد زي حضرتك هيتعاون معانا. طبعا.
- طيب يادكتور، مش عاوز اضيع وقتك اكتر من كده.. ده رقمي لو افكرت حاجة ممكن تفيدنا....
- قاطعه "هشام" قائلاً:
طبعا أكيد هبلغك.



أمعن "معتز" النظر في عين "هشام" ثم رسم على وجهه إبتسامة علمتها له سنوات خبرته بالعمل في المباحث وهو يقول:

- أكيد.

ثم التفت نحو "أكرم" الذي كان متظاهراً بالنظر في شاشة هاتفه المحمول، قال يخاطبه:

- وحضرتك كمان، معلش اسم حضرتك إيه تاني؟.

- دكتور أكرم رشدي.

أجابه "هشام" بنفاذ صبر ثم رافقه حتى غادر الغرفة.. ما أن أغلق بابها حتى التفت نحو "أكرم" فوجده ممتقع الوجه، بادره بالسؤال:

- خير يا أكرم، مالك؟.

- لا، مفيش حاجة.. تعبان بس شوية، محتاج أشم شوية هوا.

- مش هنكمل طيب.

- خليها مرة تانية.

- تحب أوصلك؟.



لم يجبه "أكرم" وانصرف مغادرًا كأنه يفر من أمر
جلل.. أمسك "هشام" على الفور بهاتفه المحمول يطلب
"ليلي" ثم قال بعد أن أتاه صوتها:

- لسه نازل من عندي حالًا.

- وأخباره إيه؟.

- ليلي؟!.

- نعم.

- انتِ مش لازم تكلمي معاه، أنا النهارده اتأكدت من
خيانته ليكي.

صمتت قليلاً ثم جاء صوتها واجمًا:

- عادي.

- لأ، مش عادي.. ده النهارده الجلسة كلها كانت على
واحدة اسمها صباح وعلاقته بيها ويعملوا إيه مع
بعض.

- صباح!، انا معرفش حد بالإسم ده غير واحدة بس.

- مين يا ليلي؟.

- صباح، مرآة بواب عمارة الدقي.



جلس "هشام" خلف مكتبه تتنازعه مشاعر وأحاسيس متضاربة.. كان شارداً منذ أن غادر "أكرم" عيادته فجأة كعادته، يفكر في تلك الحالة الغريبة التي أصابت "أكرم" فجعلته يصل لهذه المرحلة.. كانت مهنته كطبيب تدفعه لمحاولة التوصل إلى حل لعقدة "أكرم" النفسية، لكن قلبه كعاشق كان يحثه على تعميق هذه العقدة ليتخلص من غريمه القديم.. ويفوز بقلب "ليلى"، حبيبة القلب والروح.. أمسك بقلمه وشرع يدون في مفكرته تحليله المبدئي لحالة "أكرم":

"أكرم رشدي" طبيب نفسي، غني ومثقف.. أعلم أن المثقفين هم أصعب أنواع المرضى النفسيين؛ لأن ثقافتهم تقف دائماً حائلاً بينهم وبين استسلامهم للطبيب ثم الاستسلام لأنفسهم.. فالمثقف يستخدم علمه ومعرفته كفأس يحفر بها في أعماق ذاته، وهو بفعله هذا يستثير عقله الباطن ويعرض نفسه للأزمات النفسية.. أما الجاهل فلا تتوافر له القدرة عادة على مخاطبة نفسه واستثارة عقله الباطن، وحتى إن حدث ذلك فإنه لا يكون متعمداً حدوثه..

وبالنسبة لحالة "أكرم" فثقافته تسبب له نوعاً من الرغبة في التمرد، التمرد على الطبيب والتمرد على نفسه..



أغلب جلساتي معه كانت تضيع في مناقشات وحوارات لا طائل من ورائها سوى محاولته التباهي أمامي بقدراته وعلمه.. كثيراً ما انتابني شعور أنه يحاول مبادلة الأدوار فيما بيننا، فيكون هو الطبيب وأنا المريض.. جلساتي معه عبارة عن معركة إرادة.. معركة شديدة الشراسة بين إرادتين، إرادته وإرادتي..

وإذا كان "أكرم" مثله مثل غالب المثقفين أكثر عرضة للحالات النفسية من الجهلاء والعوام، ممن هم أقل منهم ثقافة بصفة عامة.. إلا أن لديه مشكلة أخرى؛ أنه كان غنياً منذ طفولته.. فالأغنياء أيضاً أكثر عرضة للمرض النفسي من الفقراء.. فالفقر يشغله طوال الوقت السعي وراء رزقه، وهي حاجة ضرورية تهدد بقاءه، يحتاج دائماً إلى يقظة عقله الواعي ليستخدمه في البحث عن قوته وقوت أبنائه.. هذه الحاجة تجعل العقل الواعي للفقير نشطاً قوياً طوال الوقت، وتجعل عقله الباطن يذبل ويضعف فلا يثير قلقاً لصاحبه.. حتى إذا ثار العقل الباطن للفقير فإنه يشور فجأة، تنطلق منه العقدة النفسية في تصرف بدائي عنيف.. كأن يقتل أو يصاب بالجنون، دون أن تسبق هذه الإنطلاقة معاناة نفسية مستمرة.. أما الغني فإن الفراغ الذي يحيط به، لعدم وجود حاجة ضرورية تهدد بقاءه، يجعل عقله الواعي يتكاسل.. ويترك هذا التكاسل



مجالاً للعقل الباطن يسمح له بالنشاط والسيطرة.. حينها تبدأ معاناته النفسية..

أما أخطر مشكلة تواجه "أكرم"؛ أنه طبيب نفسي.. فالطبيب النفسي إن أصبح مريضاً أو مصاباً بعقدة نفسية وحاول علاج نفسه بأن قرأ كتباً في علم التحليل النفسي تشخص مرضه أو تصف علاجه، ساءت حالته أو بات أكثر عرضة للأزمات النفسية.. لأن كتب الطب في معظم الأحيان تحتاج أثناء قراءتها إلى إرادة قوية، انفصل بها بين العقل الذي يعي ما نقرأه والإحساس بما نقرأ.. فحين نقرأ كتاباً عن مرض السرطان نشعر، إن غابت عنا قوة الإرادة، بكل أعراض المرض تنتقل إلى بدننا.. وكذلك عندما نقرأ كتاباً في علم النفس، نحس أننا مصابون بنفس الحالة النفسية التي يشرحها لنا الكتاب.. وهذه الإرادة هي الفارق الجوهرى بين الطبيب المعالج، والطبيب المريض.. هذه على الأرجح هي حالة "أكرم رشدي" إن لم أكن مخطئاً.. طفولة غير مستقرة لإنفصال والديه وسوء معاملة عمته؛ نتج عنها ترسب عقدة نفسية في عقله الباطن منذ الصغر.. حياة ناعمة مترفة فارغة؛ لم يكن بحاجة لنجاح مادي أو مهني لنيل مكانة إجتماعية حظى بها منذ ولادته.. استخدم ثقافته وعلمه، كطبيب نفسي، كفأس



يحفر بها داخل نفسه ليصل إلى تلك العقدة.. لكنه بدل أن يصل إليها إستثارها، ضخمها وزاد من تعقيدها..

تنهد في إرتياح حين ترك القلم من يده بعد أن أنهى من كتابة تحليله لحالة "أكرم".. أرتمت على شفته إبتسامة خفيفة، كانت تلك عادته كلما نجح في فك طلاسم حالة مرضية تعرض عليه.. فتح درج مكتبه وأخرج منها سيجاراً فاخراً ماركة "كوهيبا".. قطع طرفه ثم أشعله مستمتعاً بدخانها الكثيف، الباهظ الثمن..

حانت منه نظرة لكل تلك الشهادات التي تزين جدران غرفته فأصابته نشوة.. تذكر سريعاً أيام لم يكن يمتلك مصاريف دراسته.. لمعت أمام عينيه صورة "أكرم" اللامعة أيام الجامعة، وصورته منكسراً الآن فمسح بيده على لحيته الدوجلاس في سعادة غريبة..

فجأة تقلصت ملامح وجهه وغامت عيناه بضيق وحزن دفينين، تذكر مثلاً شعبياً كان أهل بلدته يتندرون به عليه دائماً لما أحسوا بتعاليه عليهم بعد عمله كطبيب نفسي:

"قال لي يابا إمتى تشرفني، قلت لما يموت كل إلبي يعرفني" ..



... اليوم الرابع ...

الضَّبُّ قَدْرٌ فَحْتُمُومٌ ..

تَعَاقًا كَالْمَوْتِ ..

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



(١٠)

لا يعلم ما الذي أتى به إلى هذا المكان، لا يسعفه عقله المضطرب في أن يحدد السبب.. كل ما كان يذكره أنه حين غادر عيادة "هشام" كان التوتر مسيطراً عليه، انتابه خوف شديد من الحديث عن مقتل "صفاء".. اعتراه قلق كبير من ذلك الضابط السخيف ونظراته التي كانت تحاصره طوال فترة حديثه مع "هشام"..

جاهداً رفع جفنيه المتثاقلين بصعوبة بالغة، حاول إستجلاء الرؤية وسط كل هذا الدخان الكثيف.. كان الجو من حوله خانقاً حاراً، بالرغم من تلك البرودة القارسة التي تسيطر على أجواء شتاء القاهرة، يموج بأجساد البشر المتلاحمة في بدائية غريبة.. يجلس بعضهم متجاورين على مقاعد خشبية أو متحلقين حول مناظير موزعة في أرجاء المكان بعشوائية، كانت المناظير عامرة بصنوف مختلفة من الفاكهة والمقرمشات.. تراصت فوقها زجاجات البيرة



الباردة وأحجار المعسل المخلوط بالحشيش، تجاوزهم
أطباق بلاستيكية ممتلئة عن آخرها بالسجائر الملفوفة..
”منورنا والله يا أكرم بيه يابن الأكبر”، انتبه على
صوت بدا له مألوفًا..

إلتفت نحوه لا يكاد يرى تفاصيل وجهه، هز رأسه
ثم إبتسم في بلاهة حين تعرف عليه.. تذكر أنه حين
غادر عيادة ”هشام“ لم يكن يجد ما يفعله، قاد سيارته
على غير هدى محاولًا التخلص من ذلك التوتر اللعين
حتى وجد نفسه في العباسية.. أوقف سيارته أسفل عمارة
عمته بعد أن شعر بحنين غريب إلى الماضي.. التقى حينها
”نبيل البغدادي“ أو ”بلبل“ كما كان الشباب يلقبونه
قديمًا، ابن صاحب المقهى القابع أسفل العمارة.. كانت
له ذكريات كثيرة أيام الصبا مع ”بلبل“، لم يجد حرجًا
من الجلوس معه لبعض الوقت لإجتار ذكريات الشباب..
جرهما الحديث لذكر حادث ”فريدة“ فأصر ”بلبل“
على إصطحابه معه لحضور فرح أحد الأصدقاء في باب
الشعرية..

إنتبه على صوت ضجيج مرتفع.. كان إيقاع الموسيقى
صاخبًا مؤذيًا، يطغى على كل الأصوات المحيطة بفضاء
المكان حتى بات لا يسمع سواه.. في حين كان الكثير من



الحضور منهكمون في نوبات من الرقص.. كانوا يتراقصون في عشوائية وهمجية عجيبة، كأن حالة من الردة البدائية قد أصابتهم أو كأنها قد أصابهم مسُّ سُفلي.. كان الضجيج شديداً، لكن حالة البلادة الناتجة عن المخدرات التي تعاطوها منحتهم شعوراً زائفاً بالطرب والإنسجام.. خصوصاً مع تلك الراقصة، العارية تقريباً، التي كانت تتلوى وتهز أردافها في حركات يعاقب عليها القانون في الأحوال الطبيعية..

كان "أكرم" يتلفت حوله بين الفينة والأخرى في بلدة، أصبح الزمن بالنسبة إليه بطيئاً للغاية.. أخذ يجوب بعينه فيمن حوله ثم ارتسمت على شفته السفلى إبتسامة باهتة أعقبها بأن حدث نفسه:

"لا أعلم ما المبهج في كل هذا الصخب والضجيج؟!.."

هز رأسه في لامبالاة ثم أردف:

"ربما يحاولون نسيان بؤس حياتهم، أو ربما تكون همجيتهم هي السبب من الأساس.."
"مسأاء الخبيير.."

أفاق من هذيان أفكاره على صوت أحد الجلوس بجانبه وهو يضع أمام وجهه الشاحب بوصة طويلة



من الغاب الأصفر اللون.. مد نظره الغائم متتبعًا نهايتها
حتى إلحمت من الأسفل بـرطمان زجاجي يمتلئ بالماء
حتى نصفه تقريبًا.. لم يُعر الجالس بجواره أي إنتباه، فقط
لبى ببلادة شديدة دعوته الكريمة.. أحكم وضع البوصة
بين شفثيه ثم سحب نفسًا طويلًا جدًا أفرغ فيه كل
شحناته السلبية، التي رافقته لفترة ليست بالقليلة مسببة
له مزيجًا بائسًا من مشاعر الضيق والقلق.. توقف عن
سحب الدخان فجأة حين سمع صوت طرقة الفحم
فوق الحجر، لمعت عيناه بوميض خافت حين شاهد لهب
بسيط من النار يتراقص في مياعة أعلى سماسم الفحم..
”الله أكبر عليك يا باشا.. ولعت الراية يا كبير“..

نظر بعينيه الحمراوتين للفتى الصغير الذي يحمل
في يده منقد الفحم بعد أن قال عبارته الأخيرة.. كانت
نظرته جوفاء خالية من أي معنى حين رسم على وجهه
إبتسامة صفراء باهتة وهو يتلذذ باخراج الدخان من
فتحتي أنفه في هدوء شديد.. صفق الفتى الصغير بيديه
جدلاً بعد أن أحس أنه قد أدى واجبه على خير وجه ثم
غادر موقعه بجوار هذه المنضدة لشعوره بأن روادها قد
حظوا بنصيبتهم العادل من الكيف..



أحس بحرقة شديدة في صدره من جراء دخان الجوزة لكنه صمم على التظاهر بالقوة والتحمل.. إلا أن نوبة عاتية من السعال إجتاحته رثيته كشفت عن ضعف شعبه الهوائية، وعدم قدرتها على تحمل كل هذا القدر من الدخان المحمل بعبق عطر الحشيش الفواح..

على الفور ناولنه أحدهم بكرم بالغ زجاجة باردة من البيرة، وهو يقول بصوت أجش تقطعت نبراته من جراء سعاله المتقطع:

”بل ريقك ياباشا تلاقيه نشف بس شوية“..

دون أدنى تردد تناول منه زجاجة البيرة ثم أفرغ نصفها تقريباً في جوفه على دفعة واحدة.. شعر بعدها بثقل هائل يضغط على حجابيه الحاجز، لم يذهب عنه هذا الشعور المقيت حتى تجشأ بصوت مرتفع.. داهمه دوار فظيع وإحساس مخيف بالإختناق.. نظر لساعة يده فوجد عقاربها تجاوزت منتصف الليل بدقائق قليلة.. قام واقفاً بصعوبة بعد أن استند على كتف الجالس إلى جواره..

”على فين يا أكرم بيه؟!.. ما لسه بدري“..

رفع كفه محيياً ”بلبل“ وهو لا يكاد يرى تفاصيل وجهه ثم قال:



”هاطلع بره أشم شوية هوا وراجع تاني“..

لم يمض سوى ساعتين فقط على دخول ”معتز“ لبيته حتى رن هاتفه المحمول.. بدد ذلك الرنين الصمت الذي أصبح يميز بيته بعد أن هجرته زوجته.. مد يده بارهاق شديد حتى ضغط على زر الإجابة، سمع صوت ”عمرو“ يقول بتوتر شديد:

- مساء الخير يا باشا.

- الساعة كام دلوقتي؟.

- ٢ الصبح يا باشا.

تأفف ”معتز“ وهو يقول في حدة:

- ياريت يكون في حاجة تستاهل.

- شقة صفاء عبدالحميد.

- مالها!؟.

- في ناس اقتحمتها من شوية، فضوا الأختام من على الباب وفتشوها.. مش عارفين إذا كانوا أخذوا حاجة منها ولا لأ.



إنتفض "معتز" جالسًا على الفور ثم قال بنبرة أمرية:

- قابلني هناك حالًا.

أخذ دشًا دافئًا في عجالة ليذهب أثر النعاس عن رأسه، وارتدي ملابس ثقيلة تمدّه بالدفء اللازم لمواجهة برودة الطقس.. غادر بيته ونزل السلم عدوًا بعد أن تلفح بكوفية من الصوف، كانت "يُمنى" قد أهدتها له في عيد زواجهما الثالث.. قاد سيارته الخاصة متجهًا إلى الزمالك حيث شقة "صفاء عبد الحميد".. كان الطريق خاليًا تمامًا في مثل هذا الوقت المتأخر مما سمح له بتلك السرعة الكبيرة التي كان يقود بها.. لكن عقله كان يعمل بسرعة أكبر.. فمنذ مغادرته لعيادة "هشام وهدان" وبذور من الشك كانت تنبت في سرعة مضطردة داخل قلبه.. كان حدسه يخبره بأن هذا الطبيب له علاقة بمقتل "صفاء"، أيضًا نظرات صديقه "أكرم" لم يسترح لها على الإطلاق.. حين دخل إلى مكتبه في القسم راجع كل أوراق القضية.. اتصل يتعجل تقرير الطب الشرعي وتشريح الجثتين.. حاول الإتصال بـ "داليا" لكن هاتفها كان مغلقًا على الدوام..

أوقف "معتز" سيارته أمام عمارة "صفاء" بعد أن ضغطت قدمه بعنف على دواسة المكابح، أصدرت صوتًا



مُرْتَفِعًا سُمِعَ بوضوح تبدد معه الهدوء المعروف عن حي الزمالك في هذا الوقت المتأخر من الليل.. هبط منها بخطوات نشطة، قذف بمفاتيحها لأحد رجال الشرطة المنتشرين في الشارع الضيق والمكتظ بهم مدخل العمارة.. ارتسمت على ملامحه آيات التركيز الشديد وهو يجيل بصره حوله مفتشًا في الوجوه.. حين شاهد "عمرو" يتحدث لأحد الوقوف بادره قائلاً:

- فين فرد الأمن السري يا عمرو؟.
- موجود يا باشا، أنا سألته كان فين وقت اللي حصل قال لي إنه غاب نص ساعة بس.. راح يشرب شاي في القهوة اللي على الناصية.
- جز "معتز" على أسنانه في غيظ ثم قال:
- والبواب كان فين؟.
- من امبارح اخد مراته وعياله وسافر على البلد.
- ابعته وهاته.
- صمت "عمرو" ليرهة ثم قال في تردد:
- محدش يعرف بلده إيه يا باشا؟.



- نعم!!، يعني إيه؟.. اختفى بسلامته، اجمعلي باقي البوابين.. خليه يتصرفوا.

أنهى "معتز" عبارته الأخيرة ثم تحرك بخطوات غاضبة نحو سلم العمارة.. صعد درجاته في سرعة ثم دلف للشقة، كان رجال الشرطة يفتشون في كل أرجائها بحثًا عن شئ يدل على شخصية المقتحمين.. جال "معتز" ببصره فهاله ما أصاب الشقة من فوضى.. معظم الأثاث الفاخر محطم، التحف والآليات مهشمة.. كل أرفف المكتبات تم تفريغها، إلقاء محتوياتها على الأرضية الخشبية للشقة.. دخل إلى غرفة نوم صفاء، كان الحال فيها مثلما كان خارجها.. فوضى عارمة ودمار شامل..

غادر الشقة ووقف أمام مدخل العمارة يدخن سيجارة، نفث دخانها في غضب والتفت في حدة نحو "عمرو" حين سمعه يقول:

- تقرير الطب الشرعي وصل يا باشا.

- بيقول إيه؟.

- مفيش أثار معاشرة جنسية عند القتيلتين، فقط شوية كدمات وسحجات لكنها بسيطة.. تدل على ان مقاومتهم كانت ضعيفة.



- سبب الوفاة يا عمرو، أنا اعصابي مش مستحيلة.
- وفاة صفاء كانت نتيجة صدمة عصبية حادة من أثر طعنها بالسكين في المكان اللي
- قاطعه "معتز" بنفاذ صبر:
- مفهوم، مفهوم.. في حاجة تانية؟.
- وفاة إيمان كانت نتيجة اسفكسيا الخنق.
- دي كانت حاجة واضحة زي الشمس.
- صمت "معتز" قليلاً ثم تأفف حين قال في ضيق:
- مفيش أي حاجة تانية ممكن تساعدنا؟.
- القتيلتين كان في أثر لمخدر في جسمهم.
- كانوا بيتعاطوا حاجة؟!.
- لا يا باشا، اللي قتلهم خدرهم الأول.
- عرفوا نوع المخدر؟.
- مخدر من اللي بيستخدم في الأغراض الطبية.
- لمعت عينا "معتز" بقوة وارتسمت على شفثيه إبتسامة غامضة ثم قال وهو يتحرك نحو سيارته:



- خلص شغلك وحصلني على القسم، قبل ما النهار
يطلع عاوز أشوف زوج إيمان الشهاوي.. وكل أفراد
الأمن السري يسيبوا اللي في أيديهم ويجيبولي داليا
من تحت الأرض.

لم يُرد "أكرم" العودة لمنزله وهو على تلك الحالة
خصوصًا بعد أن تجاوزت الساعة الثانية صباحًا، قرر
التوجه لعيادته بعد أن أصبحت هي ملاذ الأخير الذي
يلجأ إليه كلما ضاقت به السبل.. حين أوقف سيارته
أمام العمارة ومضت في عقله فكرة اللجوء إلى "صباح"
لعل رحيقها يساهم في التخفيف من حدة توتره.. ابتسم
حين تخيل نفسه ينهل من رحيقها، لكنه لعن سوء حظه
عندما وجد غرفة "صلاح" البواب مغلقة بقفل ضخم..
علل ذلك بأن الرجل و"صباح" ربما سافرا إلى بلديهما
لقضاء بعض الأمور، لكنه تعجب من كونها لم تخبره
بسفرها على الرغم من لقائها معه قبل ساعات قليلة..
دخل عيادته على ضوء كشاف هاتفه المحمول بعد أن
وجدها غارقة في ظلام حالك..



”يبدو أن الملعون صلاح قد فصل وصلة الكهرياء“،
حدث نفسه سرًا..

ودخل لغرفته يفتش فيها عن زجاجة الشيفاز ريجال
أملًا في أن تذهب لذعة الكحول من فمه طعم تلك المرارة
التي باتت تحاصر حياته.. أشرق وجهه في الظلام حين عثر
على ضالته داخل مكتبته التي علا رفوفها التراب.. جلس
خلف مكتبه يشرب من الزجاجة في نهم شديد.. بعد فترة
قصيرة بدأ الخدر يسري في أوصاله ومعه سرح خياله في
”صباح“..

رآها لأول مرة في ذلك المساء الذي غادر فيه عيادته
متأخرًا كعادته.. حينها سمع صوت صراخ وعويل يأتيان
من جهة مدخل العمارة.. توجه نحوهما سريعًا بعد أن
تملكه الفضول، فرأى ”صلاح“ ممسكًا بشعر فتاة شابة في
أواخر العشرينات.. يجرها على الأرض بعنف، ويبرحها ركلاً
بمنتهى القسوة.. والمسكينة تتلوي وتصرخ من الألم أسفل
قدميه.. أخذته شهامة نتجت عن كأسين من الكحول
تجرعهما قبيل مغادرته العيادة، فتدخل يحول بين الرجل
وبين الفتاة.. خلف ظهره القوي التصقت الفتاة محتمية
من بطش ”صلاح“، الذي لم يهدأ إلا بعد أن نفحه ”أكرم“
عشرة جنيهات كاملة..



لم تسترع هذه الفتاة إنتباهه في ذلك المساء، لكنها شغلت عقله حين زارته في العيادة بعد تلك الواقعة بثلاثة أيام.. وجدها تطرق بابه بعد إنتهاء مواعيد العمل في العيادة وانصراف مساعده، لم يكن يعلم أنها زوجة "صلاح" البواب في ذلك الوقت.. أخبرته أنها جاءت لتشكره، أطل حينها النظر في عينيها البنيتين.. كانتا تحملان في داخلهما نظرات تعبر عن كل المتناقضات.. حزن عميق وفرحة طفولية، خوف عظيم وجرأة كبيرة.. أدخلها لغرفته ماشياً خلفها يتأمل عبائتها السوداء الضيقة، ومن أسفلها ظهر جسدها الذي بينت رجرجته أنوثتها بوضوح.. ظهرت أطراف شعرها البني مموجة في عجرية مثيرة من أسفل طرحتها المزركشة.. كان كل شئ فيها جامحاً يحرك مكانه..

بعد أن أجلسها أخبرته أنها منذ أن مات أبوها لم تجد من يدافع عنها أبداً.. صدمته كانت كبيرة عند علمه أنها زوجة "صلاح" البواب؛ كان الفارق بينهما يتجاوز الأربعين عاماً.. أخبرته بأنها لا تعرف كيف توفيه حقه من الشكر، لكنها قالت بجرأة ألجمته أنها لا تجد سوى طريقة واحدة لرد جميله.. تسمر في مكانه لوهلة حين فهم مقصدها، إلا أنها بادرتة تسأل عن مكان الحمام..



حين أخبرها غادرت نحوه سريعاً، وسمع بعدها صوت
انسياب الماء..

بعد فترة قصيرة خرجت دون أي شيء يسترها، تلمع
كنجمة تتلألأ في سماء حياته المظلمة.. وقطرات الماء
تنساب في سهولة ولين فوق بشرتها القمحية الناعمة..
كانت حقاً جميلة بعد أن أكسب البلب شعرها الغجري
إغواءً مضاعفاً.. وتلك الرائحة الطفولية الرائقة التي
اشتمها حين ضمها والتقم شفتيها جعلت ذراعيه ترتخيان
والدماء تفور في جسده.. برفق أحكم الإمساك بدفتها،
فقداته بحنكة نحو موجات عاتية من العشق.. كان آخر
ما سمعته أذناه قبل أن يغرق معها في بحارها صوتها
يهمس بلهجتها الريفية في تأود:

”ريحتك حلوة قوي يا سي الدكتور أكرم“..

سرى مفعول الكحول في رأسه فصدرت عنه ضحكة
عالية، تردد صداها في فضاء غرفته حين تذكر ذلك اليوم..
أشعل سيجارة ثم مد يده يفتش في درج مكتبه الأيمن
العلوي، عثر على ضوء كشاف هاتفه المحمول على ملف
أخضر اللون مكتوب عليه بخط واضح (ملف السيدة/
صباح عبدالمجتلي صميذة).. شرب من زجاجته بينما كان
يقلب في أوراق الملف.. ومعه تذكر ما جمع بينه وبين



”صباح“، تلك اللقاءات والجلسات بينهما.. أصبح يكن لها بعدها شعورًا خاصًا..

أخبرته ”صباح“ أن قصتها بدأت من اليوم الذي وقفت فيه بجوار والدها، وهو مسجى على فراش الموت.. كانت في الثانية عشر من عمرها حين كان كل شئ فيه يموت أمامها ببطء شديد.. عيناه وأنفاسه، حتى وجهه بدأ يفقد سمار لونه ويتحول تدريجيًا للون شاحب لا تعرف له إسمًا.. كانت تقف بجانبه تراقب في صمت تام، كأنها تخشى أن تتكلم فيسرع حديثها من موته.. فقط إكتفت بالتفرس في ملامحه بحثًا عن ذلك الأب الذي تعرفه.. الذي كان يعرف دائمًا كيف يضحكها، ينشر من حولها أزرع الرعاية والحماية.. الذي كان يختصها دومًا بقبلة صباحية وأخرى قبل الخلود للنوم..

إقتربت منه تحاول تقبيله مثلما كانت عادتتهما، لكنها لم تجد منه أية ردة فعل.. فقط كانت تسمع صوت أنفاسه الوهنة.. شهيق قصير خافت، يعقبه زفير طويل حاد.. تحول إيقاع حياتها بأكمله خلال تلك اللحظات إلى إيقاع يماثل صوت أنفاسه.. نامت برأسها على صدره بعد أن سألت الدموع من عينيها، سمعت صوت زفيره يخرج طويلًا، لكنه كان هادئًا.. رفعت رأسها تنظر نحوه، لكنها



لم تجد أي تغيير في صورته.. فجأة، سمعت أمها تصرخ مولولة.. علمت أن أبها قد مات..

أصابتها حالة من الذهول، كأنها لم تتصور أن يمتد الموت إلى والدها.. لكنها كانت في ذهولها ترقب باندهاش شديد تلك الضجة الكبيرة التي أقامتها أمها في ليال العزاء.. حتى أنها تذكر جيداً كيف وجدت أمها تتزين صبيحة اليوم التالي للوفاة، كانت تقف أمام مرآتها المشروخة تعدل وضع عباءتها السوداء الضيقة على جسدها.. تشد جزئها العلوي فوق صدرها لأسفل، تبرز ذلك الفرق الواضح بين نهديها.. تربط طرحتها السوداء فوق رأسها، تتعمد أن تترك القليل من شعرها البني المتموج ينسدل فوق جبهتها..

وقفت ترقب أمها في سخط لا تعلم له سبباً.. أحست أنها تريد لومها، لكنها لم تستطع أن تفعل.. لمحتها أمها في صفحة المرأة فقالت دون أن تلتفت إليها:

- الله يرحمه، أهو ارتاح من عذاب المرض.. الدور والباقي علينا إحنا، مين اللي هيرحنا من عذابنا؟.

قالت عبارتها بنبرة طبيعية للغاية، ليس فيها أي حزن.. كأن تلك الضجة التي تقيمها فرح لا عزاء.. كان يبدو عليها أنها شديدة الانشغال، أنها تستعد ليوم ستكون



فيه عروسة تحتفل بزفافها.. انهمرت دموع "صباح" غزيرة في ذلك اليوم، لكنها كانت دموعًا صامتة.. حتى كادت تختنق فركضت إلى غرفتها المتواضعة، ثم أجهشت بالبكاء.. كانت دموعها حارة صادقة، دموع من اكتشفت أنها أصبحت يتيمة..

لم يطل إنتظار "صباح" كثيرًا حتى أكدت لها الأيام صحة توقعها.. فبعد أسبوع واحد فقط فتحت أمها باب غرفتها بعنف كأن عاصفة اقتلعت ثم صاحت بها:

- انتِ لسه قاعدة متنكدة وسايياني شايلة الهم انا واخواتك، يلا قومي سلمي على الضيوف.

كانت تلك هي المرة الأولى التي ترى فيها "صلاح".. كان قد حضر راسمًا على وجهه ملامح الحزن، مدعيًا تقديمه لواجب العزاء.. لكن "صباح" لمحت تلك النظرات الغريبة التي كان يتبادلها مع أمها.. بعد فترة بدأ يكثر من زيارته للبيت، أمها تتحرر من ثيابها أمامه أكثر فأكثر.. و"صلاح" يزيد في كل زيارة من الهدايا، العطايا والمال..

في أحد تلك الليالي التي بقيت ذكراها تنخر في عقل "صباح".. سمعت صوتًا صادرًا من غرفة أمها فتوجهت نحوها على الفور.. وجدت أمها وقد تأود عودها عشقًا



بين أحضان "صلاح" .. مع مرور الوقت أصبح "صلاح" فرداً من أفراد العائلة، كان يتكفل بكل نفقات البيت.. لكن بعد حين بدأ يكشف عن نواياه الحقيقية..

بدأ يرسل أخواتها اللاتي يكبرنها في السن إلى قرى ومراكز مجاورة في أيام الأسواق والموالد، يؤجرهن لراغبي المتعة.. ومن عرقهن كان يترك مصروفًا ضئيلًا في يد الأم.. حتى بدأت الخلافات تدب بينه وبين أمها حين اكتشفت الأخيرة أنه يراود واحدة من بناتها ويتحرش بها.. طردته خارج البيت، وبقيت تجتر أحزانها وحدها.. لم تتحمل صدمتها كثيرًا فماتت بعدها ببضعة أسابيع.. وبقيت "صباح" مع أخواتها يواجهن قسوة الحياة..

كانت الأخوات قد احترفن بيع أجسادهن لراغبي المتعة في البلدان المجاورة.. بدأن يضغطن عليها لكي تحذو حذوهن.. رفضت في البداية، لكنها سرعان ما رضخت تحت وطأة شظف العيش..

بعد فترة أبلغتها أخت لها أن هناك من يطلب يدها للزواج، فرحت ورسم لها خيالها آمالاً عريضة.. كانت صدمتها قوية حين علمت أن هذا العريس المرتقب كان "صلاح" .. أخبرتها أختها أنه سيأخذها معه للقاهرة حيث رغد العيش.. صاحبه إلى القاهرة كبقرة يجرها صاحبها



للذبح.. حين وصلت علمت أنه حارس لأحد العقارات بالدقي.. أجر لها بادئ الأمر شقة متواضعة في بولاق الدكتور ثم نقلها لعمارة الدقي بعد وفاة زوجته الأولى.. بعد فترة بدأ يستخدمها في خدمة الشقق المفروشة، ثم بدأ يعرض خدمات جسدها على من يُقدّر جماله..

أغلق "أكرم" صفحات الملف ثم أزاحه من أمامه في ضيق.. نظر نحو زجاجته فوجدها شارفت على الإنتهاء.. جرع ما بقي منها في جوفه دفعة واحدة، تجشأ في صوت مسموع ثم نظر في ساعة هاتفه المحمول فوجدها تجاوزت الرابعة صباحًا.. قام يترنح من مكانه خلف المكتب حتى وصل إلى الأريكة التي كان يستخدمها لعلاج مرضاه.. ألقى بجسده فوقها في تعب، لا يعلم سبب تلك الراحة التي بات يشعر بها حين يتمدد فوق أي أريكة.. لم يكن يستطيع العودة لمنزله وهو على تلك الحالة من السكر.. أغمض عيناه بعد أن أصابه الإعياء ودارت رأسه بفعل الكحول.. أظلمت الدنيا من حوله تمامًا حين غاب عن الوعي وهو يتمتم هاديًا:

"فريدة.. فريدة" ..



(١١)

حين دخلت "ليلى" من الشرفة إلى غرفة نومها كان الوقت لا يزال ليلاً تقريباً، بالكاد بدأت بعض العمارات السكنية تظهر على إستحياء من بين الضباب.. ألقى بجسدها فوق فراشها في تعب واضح.. كانت ليلتها كئيبة مقبضة، فارقها النوم فيها بعد أن سيطرت على عقلها مشاعر الحزن والكآبة.. كانت لا تتصور أبداً كيف تحولت حياتها إلى ما لم تكن تتخيله على الإطلاق..

شعور سخيف بالسأم، إختناق وضيق شديد في التنفس كانا يسيطران عليها بصورة مفزعة.. غادرت الفراش بخطوات بطيئة بعد أن أعيأها طول السهر، وأرهقتها الأفكار الحزينة.. توجهت إلى الحمام ووقفت أسفل صنوبر الإستحمام الذي انهمر ماؤه في قوة وغزارة، تلتمس في سخونته قليل من الإسترخاء.. إلا أن صوت خرير المياه وذلك البخار الكثيف الذي ملأ الحمام لم يفلح في إزالة



آثار السهر والارهاق.. فخرجت من الحمام تمامًا كما دخلت إليه، لم يتغير شئ من حالها..

جففت جسدها سريعًا ثم توجهت إلى غرفتها.. نظرت لملابسها الملقاة فوق الفراش في ضيق ثم ألقت بها إلى الأرض.. كأنها تتخلص من أغلال غليظة تقيد حركتها وتكبل روحها.. دست جسدها العاري أسفل الغطاء ثم تكومت على جانبها متخذة وضعية الجنين كأنها تطلب الحماية.. تمامًا كطفل يلتمس ذلك الشعور البرئ بالأمان في رحم أمه.. إلا أن كل تلك المحاولات لم تفلح في تخليصها من تلك المشاعر الكثيبة التي سيطرت على روحها..

”حبنا قدر يا أكرم، مفيش حاجة هتفرقنا إلا الموت“..

ترددت في عقلها تلك الجملة التي قالتها كثيرًا فسالت دموعها، ومعها بدأت ذكرياتها تنساب من بئرها العميق..

- مايصحش خروجك مع أكرم بالشكل ده.

- ليه يا ماما بتقولي كده؟!

- كده وخلاص، من غير سبب.

- يبقى مش هبطل أخرج معاه.

- يا بنتي أنا خايفة عليك، ده واد متدلح وأبوه وأمه متطلقين.



- مش ذنبه انهم اتطلقوا.
- بلاش تعانديني يا ليلي.
- بلاش تجبريني انتِ يا ماما اني أختار بينك وبينه..
- لأنني لو اضطررت للإختيار، هاختره هو.
- ابتسمت في حزن حين تذكرت حديثها مع أمها آنذاك،
- لمعت عيناها ببريق خاطف حين داهمتها ذكرياتها مرة أخرى..
- انت كده بتخلينا نخسر كل حاجة.
- مش ممكن أخسرك.
- دي ثقة بالنفس، ولا غرور.
- دي ثقة فيكي.
- دمعت عيناها فور تذكرها ذلك الحديث مع "أكرم"،
- كانت قد واجهته حينها بعلاقاته الغرامية المتعددة..
- سألت دموعها حين ضربت عقلها ذكرى حاولت وأدها
- كثيرًا، لكنها فشلت.. أغمضت عينيها في ألم وهي تسترجع
- ما حدث كأنها تشاهد فيلمًا..
- كان يحتضنها أسفل صنوبر الإستحمام والماء الدافئ
- ينساب على جسديهما حين قالت:



- مبروك، هتبقى أب.
- تأملها "أكرم" لفترة ولم يرد ثم قبلها قبله طويلاً،
لكن عيناه كانتا تلمعان بفرحة غامرة.. قالت وهي تمسح
وجهها في صدره المبتل:
- لو ولد هنسميه إيه؟.
- بس أنا عاوز بنت.
- برضه هنسميها إيه؟.
- فريدة.
- فريدة؟!.
- أيوه على اسم ماما الله يرحمها.
- دعكت كتفه وصدره برغوة الصابون ثم قالت بدلال:
- موافقة، بس على شرط.
- قولي يا ستي.
- لو ولد أنا اللي هسميه.
- وأنا موافق.
- شدته إليها بقوة ثم قبلته، انزلق جسدهما المبللان
برغوة الصابون فوق بعضهما إلى أسفل..



فتحت "ليلى" عينيها فجأة وانقطع شريط ذكرياتها السعيدة بقسوة.. اقشعر جلد جسدها بأكملها، كانت تلك العودة إلى الوراء مؤلمة بحق.. وككل مرة كانت تغمرها ذكرى تلك الفترة كانت تستحوذ عليها مشاعر وانفعالات لم تعلم كيف تسيطر عليها.. كانت تكتفي بسحب الغطاء فوق رأسها كأنها كانت تختبئ أسفله من تلك الذكريات..

كانت تشعر بحنين جارف نحو "أكرم"، لكن الهوة بينهما باتت بعيدة واتسعت حتى أمست شديدة العمق.. لم تعد تشعر بقدرتها على أن تخطو خطوة واحدة نحوه.. للحظة رأته نائمًا إلى جوارها أسفل الغطاء، ينظر لها وقد أضاء وجهه بتلك الإبتسامة التي تحفظ تفاصيلها عن ظهر قلب.. خيل إليها أنها تحدثه عن كل شئ.. كل الذكريات والتفاصيل الصغيرة.. سرعان ما أفاقت حين تذكرت خيانتة المتكررة لها.. قطبت جبينها في ضيق ثم تمتمت في حدة:

"لم يكن لديك الحق أبدًا في إفساد كل ما سعيت لبنائه" ..

اعتدلت في الفراش ثم نظرت لساعة على الحائط أمامها، كانت عقاربها قد تجاوزت الخامسة صباحًا.. لم



يكن "أكرم" قد عاد للبيت بعد، أمسكت بهاتفها المحمول تطلبه.. لم يرد، بعد عدة محاولات ألقى بهاتفها على الفراش في ضيق.. تأففت في سخط ثم أمسكت بهاتفها تطلب رقمًا.. أتاها صوت "هشام" سريعًا جدًا قائلاً:

- انا كمان مش جايلي نوم.

- قابلني في عيادة أكرم دلوقتي.

- إيه؟!، عيادة أكرم!!.

- بعد نص ساعة، ماتتأخرش.

كان سيقول شيئًا ولكنها أنهت عبارتها ومعها المكالمة سريعًا ثم ارتدت ملابسها على عجل.. تحركت بسيارتها متجهة إلى الدقي.. نحو عيادة "أكرم" ..

فتح "أكرم" عينيه في صعوبة، كان ذهنه مشوشًا من تأثير ليلة أمس الصاخبة.. نظر حوله فتذكر أنه قضى ليلته في العيادة، اعتدل جالسًا فوق الأريكة وهو يمسد جفنيه بأصابعه.. حين انجلت الرؤية أمامه اتسعت عيناه عن آخرهما من الدهشة لرؤية "ليلى" و"هشام" جالسان أمامه.. كانت "ليلى" جالسة خلف المكتب تقلب في أوراق



ملف "صباح"، بينما كان "هشام" جالسًا على المقعد المواجه له يرميه بنظرات متشككة..

- انتوا بتعملوا ايه هنا؟!!

قالها "أكرم" في صوت لايزال محملاً بأثار النعاس..
رمقته "ليلى" لفترة ثم قالت:

- انت إلی بتعمل ايه هنا؟، ليه ما روحتش على البيت؟.

- سهرت شوية، وما حبيتش اقلقك.

- سهرت ولا كنت مع واحدة من اللي تعرفهم.

- ليلى، أرجوكِ كفاية بقى.. انا مبقيتش.....

قاطعته في حدة:

- انت اللي كفاية، انا خلاص مبقيتش قادرة استحمل.

- يا ليلى أنا.....

تدخل "هشام" في الحديث فجأة:

- أكرم، من فضلك كفاية لحد كده.

رمقه "أكرم" في غيظ ثم قال بحدة:

- وانت مالك أصلًا، إيه اللي دخلك في الحديث.



رتمه "ليلي" بنظرات مستفزة ثم قالت في هدوء:

- أنا اللي دخلته يا أكرم.

هم "أكرم" بالرد عليها لكنه تمالك أعصابه، توجه نحو مكتبه وأمسك علبة سجائره ثم أشعل واحدة منها.. نفت دخانها في عصبية وقال:

- ليه يا ليلي؟، ليه؟!.

أجابت "ليلي" ببرود غريب:

- علشان يخرجنا من المصيبة اللي احنا فيها.

رد "أكرم" بتعجب:

- مصيبة إيه اللي بتتكلمي عنها!!، أنا مش فاهم حاجة.

قام "هشام" واقفًا ثم تحرك في إتجاه الحمام، وقف عند بابه ثم أشار بيده للداخل وهو يقول مخاطبًا "أكرم":

- تعالى، اتفضل شوف بنفسك.

نظر "أكرم" صوب "ليلي" متسائلًا، لكنها أشاحت بوجهها عنه في غضب.. تحرك نحو الحمام ثم دخله

فصدرت عنه شهقة قوية، تراجع إلى الخلف خطوتين حتى
كاد يقع.. استند على ذراع "هشام" وهو يصرخ:

- مش ممكن، إيه ده؟!.

كانت "صباح" عارية تمامًا، غارقة في حوض استحمامه..
ازرقت بشرتها وارتسمت على ملامح وجهها علامات ألم
فظيح.. سقط "أكرم" على ركبتيه يبكي في ألم وهو يتمتم
بصورة أقرب إلى الهذيان:

- ليه كده، أنا معملتش حاجة.

لكن "ليلي" صرخت في وجهه بقسوة:

- لأ، عملت.. انت قتلتها زي ما قتلت فريدة.

امتقع وجه "أكرم" واتسعت عيناه عن آخرهما ولم
يرد.. أردفت "ليلي" تقول في ثورة عارمة:

- أيوه يا أكرم، انت قتلت بنتك الوحيدة.. غرقتها في
البانيو، زي ما غرقت عشيقتك مرارة البواب.

- مش معقول!.

- لأ معقول، انت قتلت فريدة وقتلتي معاها بخيانتك.

كانت الصدمة أكبر من قدرة عقله المضطرب من
الأساس على الإحتمال، فردد "أكرم" في ذهول:



- يبقى أنا اللي قتلت صفاء.
- لم ترحمه "ليلى" وأكملت صراخها حين قالت في قرف:
طول عمرك ذوقك يقرف.
- تدخل "هشام" في الحديث فقال متصنعا الهدوء:
مش مهم دلوقتي هو عمل إيه، إحنا لازم نبلغ البوليس حالاً.
- كان "أكرم" يشعر أنه في حلم مريع، لم يجد لديه أدنى قدرة على الرد فالتزم الصمت.. سمع صوت "ليلى" يقول في حسم لم يعتده منها:
لا، مش لازم البوليس يعرف حاجة.
- نظر لها "هشام" في دهشة حقيقية ثم قال:
يعني إيه؟، مش فاهم.
- إحنا لازم نتخلص من الجثة دي فوراً.
- إزاي يعني؟!.
- هتشيلوها انتوا الاتنين، وترموها في أي مكان بعيد..
صعب ان حد يتعرف عليها وهي بالشكل ده.
- لكن أنا مش....



- مفيش لكن يا هشام، علشان خاطري.

كان "أكرم" ما يزال مذهولاً من وقع ما جرى، لم يسترع انتباهه تلك الطريقة التي تخاطب "ليلى" بها "هشام".. لم يلفت نظره تلك السهولة التي إستجاب بها الأخير لطلبها الغريب..

أشارت لهما نحو سجادة كبيرة كانت تتوسط مدخل العيادة، أمسكت بملف "صباح" وتلك المفكرة البنية التي كان "أكرم" يدون فيها أفكاره ثم دستهما في حقيبة يدها.. تعاون "أكرم" و"هشام" على وضع "صباح" في منتصف السجادة ثم أحكموا لفها حول جتتها المبتلة.. كان الوقت ما يزال مبكراً وقد خلا الشارع من المارة تقريباً، لم يجدوا أدنى صعوبة في وضع السجادة الملفوفة في حقيبة سيارة "هشام" الفارهة.. انطلقوا بعدها نحو طريق مصر الاسكندرية الصحراوي.. وعند نقطة مهجورة ليست ببعيد عن مصحة "هشام" تعاون كلاهما مجدداً في حمل السجادة ودفنها في وسط الرمال بعيداً عن أعين العابرين..



”لا بأس بالوصول إلى هنا بالنسبة لفتى نشأ في حارة
قذرة بتلك القرية الفقيرة“.. حدث ”هشام“ نفسه بذلك
وهو يقف في شرفة بيته بالطابق العشرين، الواقعة بأحد
الأبراج الشاهقة في حي المعادي والمطلة على نيل القاهرة
الساحر.. كان الجو صافيًا تشوبه رياح باردة، للمرة الأولى
منذ أسبوع أضاءت شمس ساطعة السماء..

وعلى الرغم من صفاء الجو إلا أن عقله رفض أن
يصفو.. داعبت ذهنه ذكريات طفولته البائسة، كانت
طفولته حقًا شاقة.. طفولة تتسم بالفقر وضنك العيش..
حياة معدمة، كان وأسرته يأكلون في الغالب مما يوجد
به عليهم الآخرين.. الناس الأكبر كما كان يسمع أمه
تسميهم دومًا..

مات أبوه منذ زمن بعيد وتركه طفل صغير، ترك
أمه وحيدة ترعى خمسة أبناء.. لم تكن حياتها سهلة أبدًا
بعد رحيل أبيه، لكنها تدبرت أمرها بمفردها لتربي أبنائها
قدر استطاعتها.. عملت بجهد كبير، عملت أحيانًا عاملين
وثلاثة لتوفر لهم عيشة بالكاد تفي بحاجاتهم الضرورية..
خادمة، دلالة وحتى نائحة في أوقات الموت.. لم تنفر أبدًا
من عمل، تحملت في صبر الإهانات المتكررة التي نالتها
من جراء تلك الأعمال.. ولأنها كانت غريبة عن قرية



أبيهم، لم يكن لديها من يمكنها الإعتماد عليه.. لم يكن في بيتهم غسالة أو ثلاجة، لكنهم كانوا يأكلون دومًا ما يشبعهم.. ولم يكن ما يشبعهم كثيرًا..

كان "هشام" هو الوحيد بين إخوته الذي نجح في تعليمه، تسرب الباقون في مراحل التعليم المختلفة.. كان يشعر أن التعليم هو طوق نجاته الأخير في مواجهة خضم أمواج الحياة القاسية..

وبالرغم من كل الشقاء الذي كانت تكابده أمه، لم يرها قط تعتني بنفسها كأنثى أو حتى تستمتع ببعض المتع البسيطة.. كان همها الوحيد هو تربية أبنائها، على الرغم من افتقارها للتعليم إلا أنها حرصت على بذل كل طاقتها ليوصل تعليمه حين وجدت لديه ميلًا وتفوقًا.. حقًا كانت تفتقر إلى العلم، لكنها كانت تمتلك قلبًا كبيرًا.. حب هائل دائم غير مشروط.. كانت تردد على سمعه دومًا:

"سوف تكون شخصًا عظيمًا في يوم من الأيام، تذكر ذلك دائمًا.. لا يمكن أن يضيع عمري هباءً" ..

جفف دموعه التي تساقطت حين تذكر ما كانت تقوله.. دخل من الشرفة ملقيًا بجسده فوق كرسيه المفضل، كرسي "الولد الكسول" الذي كلفه شراءه مبلغًا



يعادل قيمة شراء غرفة طعام لأسرة متوسطة الدخل.. فرد
ساقيه على الكرسي ومعها تمددت ذكرياته حتى استحوذت
على عقله كله..

كانت أمه هي شمسه التي يدور في فلکها، تنير حياته
بأكملها خلال سنوات الصبا والشباب.. كانت هي حارسه
الذي يحرسه ليلاً من فزع الكوايس، طبيبه الذي يداويه
في المرض.. كانت ملاكه الذي يباركه بالدعاء، تترك له
القليل من المال وتواسيه بكلمات رقيقة حين يذكره أولاد
القرية ببيتمه..

كانت أمه كل شيء في حياته، قبل أن يذهب إلى
الجامعة.. حينها ظهر بينهما حاجز غريب، بدأ يفرق
بينهما شيئاً فشيئاً..

اكتشف عالم القاهرة الساحر، تلك العمارات السكنية
الفاخرة والشوارع الواسعة.. لمرات عديدة كان زملاؤه
يدعونه لبيوتهم فبدأ يشعر بالخجل من أمه.. لم يكن
يتودد إليه سوى الأثرياء طمعاً في أن يمنحهم شرحاً لما
يستعصي على عقولهم الكسولة، على أقل تقدير أن
يعاونهم بإجابة ولو مختصرة في الإمتحانات.. كان تفوقه
سبباً في ازدياد شعوره بالنقمة على أمه.. بدأ يخجل من
لهجتها الريفية وعاداتها التي أصبح يسميها بالمتخلفة..



لأول مرة في حياته شعر أن كل هذا الحب الذي كانت تحوطه به مزعج، بدأ يتحرر منه تدريجيًا..

بعد تخرجه بتقدير جيد جدًا وتعيينه في هيئة التدريس بالجامعة لم يسهم ذلك في تحسين علاقته بأمه.. بل على العكس زاد من حنقه عليها وخجله منها.. أصبح خجله مضاعفًا، منها ومن اخوته، كان يرى أنه من غير اللائق أن يكون أخوته غير متعلمين.. ركز كل جهده لارتقاء سلم النجاح، لكن جانبًا صغيرًا في نفسه كان يلومه ويؤنبه على الدوام.. يحمله الذنب ويخبره أن هذه السيدة لا تحتاج لماله فقط، لكنها تحتاج إلى حبه ورعايته أكثر..

وفي أحد تلك الأيام جاءه اتصال من أخ له يخبره بوفاتها، ينبئه أنها أوصته قبيل موتها أن يبلغه السلام.. عاوده آنذاك ذلك الحب الطفولي الذي كان يحس به معها.. عضه الندم وتسلمت عليه سياط كل اللحظات التي كان فيها جاحدًا تجلده في قسوة..

ومنذ ذلك الحين لا يمر يوم دون أن يفكر فيها، أصبح يواسي نفسه بأن كل نجاح يحققه هو في الأصل نجاح لها.. مكافأة لها على شقائها فيما مضى.. وكلما صادف في الطريق امرأة منهكة تعبته ترتدي ملابس بالية تراءت له صورة أمه فيبكي.. يأسف لأن الأوان كان قد فات.. فكل



شئ وأي شئ كان يفعل له لإحياء ذكراها كان لا يمكن أن
يحل أبدًا محل الوقت الذي لم يقضه معها، عندما كانت
لا تزال حية..

قام "هشام" واقفًا من فوق الكرسي، محاولًا إبعاد تلك
الأفكار التي كانت تجعله ضعيفًا جدًا.. نظر في ساعة يده
السويسرية الصنع، كانت عقاربها تشير للعاشرة صباحًا..
توجه إلى غرفته ليستعد للقاء "ليلي" و"أكرم"..

نظر إلى خزانة ملبسه المتخمة عن آخرها بأغلى
الماركات وأشهرها، إختار بذلة تظهر قوامه ثم نظر نحو
المرآة الكبيرة التي تتوسط خزانة الملابس وتمتم:
"لم يتبق لي سوى حلم واحد فقط، لن أتنازل عنه
أبدًا.. أنت يا ليلي" ..



(٢٩)

جلس "معتز" خلف مكتبه يفكر بعمق في تلك القضية الشائكة التي بات يظن أنها ستنتهي مستقبل عمله في المباحث.. كان هاتفه المحمول لم يتوقف عن الرنين منذ أن تناثرت الأخبار بأمر إقحام شقة "صفاء".. كل المكالمات كان مضمونها واحد، خلاصته أن مستقبله متوقف على حل غموض هذه القضية.. دار بصره في حيرة ما بين ملف القضية وتلك المطفأة التي إمتلأت عن آخرها بأعقاب السجائر.. تأفف في ضيق وهو يفض غلاف علبته الثانية منذ فجر اليوم.. أشعل سيجارته ثم نفث دخانها بحدة وصاح على أحد العساكر يطلب كوبًا من القهوة السادة.. دخل "عمرو" إلى الغرفة فجأة وهو يقول:

- ياسر شعبان الدسوقي، زوج القتيلة الثانية بره يا باشا.



- خليه يدخل بسرعة.

إعتدل في جلسته، تظاهر بإجراء تلك المكاملة الوهمية
بعادته.. دخل "ياسر الدسوقي" إلى الغرفة بخطوات
مضطربة، هيئته وملبسه تدلان على تواضع مستوى
معيشته.. طويلاً عريضاً، ممتلئ الجسم.. له رأس كبير
يرتكز على رقبة قصيرة غليظة، تحس أن رأسه بلا رقبة..
وجهه حليق بلا إهتمام، أنفه مفطوس وشفثاه غليظتان..
شعره أسود غزير يغطي جبهته، يكاد يتلامس مع حاجبيه
الكثيفين المتلاصقين.. ذراعاها طويلتان متدلّيتان إلى أسفل،
تشعر أنهما شارفتا على تجاوز ركبتيه..

كل ملامحه وأوصافه تكاد تكون متطابقة بالضبط مع
ما درسه "معتز" في كلية الشرطة من نظرية علم الإجرام
الشهيرة للعالم الإيطالي "لومبروزو".. تشعر أنه لا يفكر
كما يفكر الناس، لا يشغل باله بما يشغل بالهم..

تسمرت عينا "معتز" حين وجد بصحبة "ياسر" طفل
صغير، خمّن على الفور أنه ابن القتيلة.. كاد أن يفقد
تماسكه بعد أن ذكرته رؤيته لهذا الصغير بابنه "أدهم"..
أنهى مكالمته الزائفة ثم نهض مصافحاً "ياسر"، تعجب
من اللين والرقّة اللذان ظهرا في يد الأخير عند مصافحته..



أشار له بالجلوس ثم أخبر "عمرو" أن يذهب بالصغير إلى غرفة أخرى، لكن "ياسر" انتفض واقفًا وقال في ذعر:

- محمود مش هيبعد عني لحظة واحدة.

رمقه "معتز" بعين فاحصة ثم قال بهدوء:

- ما تقلقلش يا أستاذ ياسر، إحنا كنا هنجييله عصير أو أي حاجة.. في كلام هنقوله ماينفعش ولد في سنه يسمعه.

- انفضل سيادتك قول كل حاجة، احنا ما بنخييش حاجة على ابننا.

- براحتك يا عم ياسر.

أنهى عبارته الأخيرة ثم تعمد التزام الصمت فترة للضغط على أعصاب "ياسر"، إستغل هذه الفترة في إشعال سيجارة جديدة.. ثم نظر نحوه من بين دوائر دخانها المتراقص وسأله:

- هي المرحومة كانت إيه علاقتها بصفاء عبدالحميد؟.

- معرفش.

- يعني إيه متعرفش؟.

- يعني معرفش.



- انت مش جوزها يا عم ياسر ولا إيه؟
- تغاضى "ياسر" عن لهجة "معتز" المستفزة، نظر بعينه إلى الأرض ثم قال:
- أيوه جوزها لكن معرفش حاجة عنها.
- رمقه "معتز" بعين خبيرة ثم قال متسائلاً:
- إزاي يعني؟! ممكن توضحلي.
- تنهد "ياسر" طويلاً كأنه يزيح حملاً ثقيلاً من فوق صدره ثم قال:
- أنا وإيمان كنا بنشتغل في سنترال المنشية، كمان كنا جيران في باكوس.. إيمان طول عمرها حلوة وشقية، كل شباب المنطقة كانوا حاطين عينهم عليها.. لكن هي ماكانش في حد يملى عينها أبداً.
- صمت "ياسر" فجأة، حاول "معتز" تشجيعه على إستكمال الحديث فقال ملطفاً من حدة التوتر:
- هاتلنا طقم ليمون يا عمرو، مش معقولة الكابتن محمود يجيلنا وما نقومش معاه بالواجب.
- غادر "عمرو" على الفور منفذاً تعليماته على حين التفت هو نحو "ياسر" قائلاً:



- وبعدين يا أستاذ ياسر، كمل من فضلك.

رماه "ياسر" بنظرة حزينة ثم شرد ببصره جهة اليمين
كأنه يتذكر أحداثًا ماضية:

- كنت دائمًا بمشي وراها وهي رايحة السنترال، حتى
لما كانت بتروح برضه كنت بمشي وراها.. كنا بنزكب
مع بعض الترام.. هي كانت شايفاني، لكنها ماكانتش
بتعترض على اللي بعمله.. كانت فرحانه اني بمشي
وراه.. هي قالت لي أنها كانت حاسة اني البودي
جارد بتاعها...

- وبعدين..

- في يوم واحنا مروحين لقيتها بتعيط، كانت حالتها
صعبة قوي.. مفدرتش أشوفها في الحالة دي، سألتها
فقالت لي ان واحد من ولاد المنطقة عشمها بالجواز
وبعدين ضحك عليها..

صمت "ياسر" مجددًا فأخرج "معتز" سيجارة من
علبته وأعطاهها له، شكره "ياسر" ثم قال بعد أن سحب
نفسًا طويلًا:

- اليوم ده كان أول مرة أخرج معاها، رحنا عند بير
مسعود.. نامت على كتفي وحكتلي على كل حاجة..



أمها وأبوها، اخواتها.. كل حاجة.. قالت لي انها خايفة
لو عرفوا الي حصلها يموتوها.. قلت لها اني مستعد
اتجوزها.. فرحت قوي وباستني في خدي..
سالت دموعه وهو يمسح بيده على خده فحشه
"معتز" على الإكمال بعض أن منحه منديلاً ورقياً.. جفف
دموعه ثم قال:

- اتجوزنا، وفي اليوم الأول عرفت انها مش بنت بنوت..
هي صحيح ما حكتليش الحكاية دي، لكن أنا قلت
أكيد الندل الي ضحك عليها هو السبب.. بعد شهر
واحد عرفنا انها حامل..

- منك؟

- مش مهم، المهم انها كانت حامل.. قضينا احلى فترة
في حياتنا لغاية لما جالنا محمود.. من ساعتها حياتنا
اتبدلت.

- إزاي؟

- احنا اتجوزنا في شقة أمي في باكوس، ودي منطقة
شعبية زي ما سيادتك عارف.. إيمان ماكانش عاجبها
العيشة في المنطقة، الله يرحمها كان طموحها كبير
جداً.



- طموحها كبير، قصدك إيه؟.

- قصدي انها كانت عاوزه تسكن على الكورنيش وتركب عربيات وتسهر، وأنا طبعا موظف على قد حالي.. فوجئت بيها في يوم بتقول لي انها استقالت من السنترال، هتشتغل مع رجل أعمال عنده شركة شحن بحري.. وافقت لما لقيت المرتب كويس وممكن يساعد في مصروف البيت.. بدأت تتأخر وألاحظ الفلوس الكثير اللي بقت في ايدها.. بعد فترة قالت لي انها مش هتقدر تكمل معايا.

- كانت عاوزه تطلق؟.

- لا بالعكس، هي بس كانت عاوزه تعيش لوحدها.

- وبعدين؟.

- أنا رفضت طبعا، بدأت الخلافات تزيد بينا.. ومعها بدأت هداياها اللي بتيجي البيت تزيد اكثر.. مرة تليفزيون، ومرة دش.. مرة خاتم ذهب ومرة سلسلة.. بدأت الناس تتكلم علينا في المنطقة.. في الآخر وافقت على طلبها، وهي قالت انها خلاص مش هتعيش في اسكندرية.. قالت لي انها جايلها شغل مهم قوي في القاهرة.. ومن ساعتها واحنا منعرفش عنها حاجة،



كل كام شهر تيجي تشوف محمود وتسيب قرشين..
وبعدين تمشي.

حانت من "معتز" نظرة خاطفة نحو الصغير
"محمود"، لمحتها "ياسر" فقال على الفور:

- حتى لو مش ابني يا باشا، فأنا حاسس انه ابني..
انا حاسس ان ربنا بعطني للواد ده علشان أرييه بدل
أبوه وأمه.

شعر "معتز" بغصة في حلقه من حكاية "ياسر"، شعر
أنه قد ظلّمه حين حكم عليه من ظهره.. تمالك نفسه
سريعًا ثم عاد مجددًا يسأله:

- طيب يا عم ياسر، مسمعتش ان المرحومة كانت
تعبانة أو بتتعالج من حاجة.

- لا يا باشا، على حد علمي كانت صحتها كويسة.

صمت لوهلة ثم قال كأنه تذكر شيئًا:

- لكن هي مرة قالت لي ان أعصابها تعبانة من الشغل،
وانها بتروح تعمل جلسات نفسية.

انتفض "معتز" في مقعده فقاطعه في لهفة:

- عند الدكتور هشام وهدان، مش كده؟.



- لا ياباشا، كانت مرة نسيت عندنا روشته مكتوب
عليها اسم الدكتور أكرم رشدي.

أدارت "ليلى" مشغل الإسطوانات فانسابت موسيقى
رائقة في فضاء الصالة.. كانت تعشق هذه الأغنية بكلماتها
التي تبث فيها دوماً حالة غريبة من النشوة، لم تفلح
أبدًا في أن تجد لها سببًا.. انسابت في الأجواء دندنة صوت
"عبدالوهاب" الدافئ، يتغنى بكلمات أمير الشعراء "أحمد
شوقي":

مُضناك هواه مرقده.. وبكاه ورحم عوده

حيران القلب معذبه.. مقروح الجفن مسهده

تحركت نحو المطبخ لتعد فنجانًا من القهوة، وهي
تردد كلمات الأغنية في انسجام تام.. كان باب غرفة النوم
مواربًا فمالت بجزعها جانبًا تختلس النظر إلى "أكرم"..
لمحت أنه مغمض العينين وقد غمرت وجهه مسحة
من الحزن الدفين.. تمامًا كما كانت تنظر إليه في الماضي
وهو نائم.. خفق قلبها بشدة، فرغم كل شئ كانت دوماً
مولعة به، مجنونة بعشقه.. أغمضت عينيها وهي تغلق
عليه باب الغرفة..



دخلت إلى المطبخ دون أن تعرف سببًا واضحًا لهيامها به، لم تفهم ذلك أبدًا.. كان بينها وبينه نوع من الترابط الروحي، صبت قهوتها وهي تبتسم حين تذكرت ذلك التناقض الغريب في شخصيته.. ربما كان ذلك ما دفعها للتعلق به من الأساس.. هزت رأسها وهي تتذوق قهوتها ثم تمتمت تحدث نفسها:

”لا يهم، المهم أني أعرفه كما لم يعرفه أحد غيري“..

جلست على مقعد وثير في الصالة بعد أن أمسكت في يدها بالملف الأخضر ومفكرة ”أكرم“ الشخصية، اللتان أخذتهما من عيادته صباح اليوم.. تفحصت أوراق الملف فوجدت بعض المعلومات عن ”صباح“، قليل من المعلومات الطبية عن حالتها وتحليل لشخصيتها مكتوب بخط ”أكرم“ المنمق.. ألقى بالملف على أريكة مجاورة بعصبية شديدة ثم أمسكت بالمفكرة.. تناولت رشفة من قهوتها ثم شرعت في قراءة ما دونه ”أكرم“ بها.. أصابها وجوم بعد قراءتها لبضعة أسطر.. لمعت الدموع في عينيها، لكنها سرعان ما سيطرت على نفسها وأكملت القراءة..

”لا أعلم حقًا ما الذي دفعني إلى الإقدام على الإمساك بهذا القلم، فأنا كما تعلمين لا أحب كتابة الرسائل.. لأنها لا تحمل لي سوى معنى واحد فقط.. الفراق.. لكنني



مشتاق إليك.. لا قدرة لدي على تخيل فراقك، لا معنى للحياة عندي بدونك..

لكن.. لعلها الرغبة في البوح ببعض الأشياء التي عجزت عن قولها في مواجهتك.. أو ربما هي تلك الظلمة والوحدة اللتان باتتا تحاصراني حتى كادتَا تذهبان بما بقي لي من عمر معدود..

على كل حال لم يعد ذلك يههم كثيراً.. فأنا لم أشعر بالسعادة سوى معك، أتمنى أن نعود كما كنا.. أعشق قدرتك على رؤيتي من الداخل، على فهمي دون أن أحتاج إلى الكلام..”

مرتجفة ومضطربة رفعت ”ليلي“ عينيها الدامعتين عن المفكرة، توقف عقلها عن التفكير تمامًا.. عاد ”أكرم“ يسيطر عليها بقوة، تحرك مرة أخرى من ذلك الركن القصي في رأسها ليستحوذ على كيانها بأكمله.. قامت من مكانها واتجهت نحو النافذة التي تطل على الشارع، ترقب الحياة من خلف زجاجها.. كان الطقس قد بدأ يغييم ولاحت السحب الرمادية في الأفق، سرعان ما انهمر مطر غزير.. عادت إلى مكانها فوق المقعد ومسحت دموعها بكفها.. تساءلت عما حل به، أيرغب حقًا فيها لهذه الدرجة؟..



أمسكت بالمفكرة من جديد وشرعت في استكمال القراءة.. ولا يتردد في عقلها سوى كلمة واحدة.. "أكرم".

"كم اشتقت لضمك من جديد، لكن ما يعزيني هو طيفك الذي لا يغادرنى لحظة.. لو علمت مدى لهفتي على إحاطتك بذراعي كما كنا نفعل لربما غفرت لي كل شئ..

أعلم أنني أذيتك كثيرًا، لكنني لم أستطع التوقف.. كنت أرى تلك النظرة الحزينة اللائمة في عينيك، لا أجرؤ على مواجهتها ولا أجد تفسيرًا لما فعلته.. لم أعد أعرف عن أي شئ أطلب الغفران، فكل شئ في حياتي لم يكن إلا خطية.. لم يعد بوسعي أن أخفي عنك شئ بعد أن كَلَّ عقلي ووهن من التفكير.. لم يبق أمامي سوى الإعراف أمامك، حتى وإن كان على أوراق هذه المفكرة..

أنا مريض.. قد تتعجبين من كلماتي هذه.. لكنها الحقيقة التي لا أدري كيف أو متى تشكلت حتى باتت واقعًا ملموسًا، لا أقوى على التغلب عليه أو حتى على أقل تقدير تجاهله.. وأكثر ما يخيفني هو أن تنتهي حياتنا معًا..



فقبلك كانت الحياة عادية، أما معك فقد أصبحت
حياتي حقيقية..

فأنت وحدك من ملكت قلبي..”

انتبهت على صوت جرس الباب، فتحت على الفور
كأنها تعرف الطارق..

- مساء الخير يافندم، يا ترى الدكتور أكرم موجود؟

تسمرت في مكانها بعد أن فوجئت بهذا الغريب الذي
يسأل عن ”أكرم“، لكنها تمالكت نفسها وقالت بهدوء:

- مين حضرتك؟

- المقدم معتز الشامي، مباحث القاهرة.

ارتجفت عينيها قليلاً لكنها أفسحت له المجال سامحة
له بالدخول.. أوقفت مشغل الإسطوانات، ومعه توقف
صوت ”عبدالوهاب“.. جال ”معتز“ ببصره في أنحاء الشقة
كأن عينه المدربة تأبى التوقف عن أداء عملها ولو لفترة
قصيرة.. إنتبه على صوت ”ليلي“ تقول في رصانة بعد أن
أشارت له بالجلوس على أحد المقاعد الوثيرة:

- أي خدمة يا سيادة المقدم؟



تأمل "معتز" مظهرها بعينه المتفحصة، لاحظ تورماً واحمراراً في جفنيها.. ارجع سببه لقلّة نومها أو كثرة بكاءها، لكنه تجاهل ملاحظاته حين جلس وسألها:

- الحقيقة إنا كنا عاوزين ناخذ رأي الدكتور في قضية مهمة .

- تقصد قضية صفاء عبد الحميد؟.

ارتسمت على شفتي "معتز" ابتسامة خبيثة ثم قال في هدوء:

- مش بالضبط، لكن موضوع متعلق بالقضية.

قالت "ليلى" على الفور:

- يبقى لازم حضرتك تقصد موضوع قتل إيمان الشهاوي.

لمعت عينا "معتز" بقوة واعتدل في جلسته ثم قال في هدوء شديد:

- و حضرتك عرفتي مين؟.

- مش فاهمة قصد حضرتك؟.

- عرفتي مين انها اتقتلت؟.

توترت عضلات عينها لكنها سرعان ما سيطرت على أعصابها وقالت:



- من الجرايد طبعًا، هم وراهم حاجة غير الموضوعات دي.

- بس الجرايد ما نشرتش حاجة عن موضوع إيمان.
- أيوه ماهو.....

أنقذها صوت جرس الباب فقامت مسرعة وهي تتمم بعبارات الإعتذار، كان "هشام وهدان" هو الطارق.. دخل على الفور للصالة، لكنه تسمر لوهلة حين وقعت عيناه على "معتز".. ارتسمت على ملامح الأخير ابتسامة وقال بلهجة مرحة:

- ده الحبايب كلهم هنا.

- أهلاً سيادة المقدم.

رد "هشام" بطريقة مقتضبة، وحانت منه نظرة سريعة نحو "ليلى" التي قالت:

- سيادة المقدم كان عاوز ياخذ رأي أكرم في قضية صفاء عبد الحميد.

- قصدك في قتل إيمان الشهاوي.

قالها "معتز" بنبرة تحمل الكثير من المعان في باطنها، رمقه "هشام" في حدة ثم قال متصنّعًا الهدوء:



- أؤمر يا معتز بيه، ممكن نساعدك إزاي؟.
- أمال فين الدكتور أكرم؟، هو مش موجود ولا إيه؟!.
- قالها "معتز" وهو يفتش بنظره في أنحاء المكان، قالت
"ليلي" على الفور:
- موجود طبغًا، هو بس تعبان ونايم شوية. تحب
نصحيه لحضرتك؟.
- شرع "معتز" في الإجابة لكن رنين هاتفه المحمول
قاطعه، رد على الفور حينما رأى إسم "عمرو" يلمع فوق
الشاشة.. جاءه صوته يقول بنبرة سريعة:
- باشا، داليا اتصلت وبتقول لحضرتك انها هتكون في
مكتبك خلال نص ساعة.
- تمام، حالاً هكون عندك.
- أنهى المكالمة ثم انتصب واقفًا، رمى نظرات ثاقبة
نحو "ليلي" و"هشام" حين قال بلهجة ذات مغزى:
- هنتقابل تاني، قريب جدًّا.
- إنصرف مغادرًا بعد أن تركهما خلفه غارقين في بحر
من التساؤلات ودوامات من القلق.



(٢١)

- هنعمل إيه دلوقتي؟
- قالتها "ليلى" حين أخذت تتمشى في الصالة بخطوات عصبية، تأملها "هشام" لوهلة ثم قال دون تردد:
- هنعمل اللي اتفقنا عليه طبعًا.
- طيب والضابط، هنعمل معاه إيه؟.
- عادي، سيبك منه.. كل حاجة هتمشي زي الخطة بتاعتنا بالضبط.
- صمت قليلاً ثم قال بعد أن لاحظ الارتباك الذي بدا عليها:
- مش انتِ بتدي لأكرم الدواء زي ما اتفقنا؟.
- أيوه.



- يعني بياخده بانتظام وغيرتي العلبة زي ما قلت لك؟.

قالت بنفاذ صبر:

- قلت لك أيوه.

- خلاص، يبقى مفيش داعي للقلق.. مش ممكن أكرم يشك في حاجة، كلها أيام أو ساعات ونخلص من كل حاجة.

أنهى عبارته الأخيرة ثم اقترب منها يحاول احتضانها، لكنها تملصت مبتعدة عنه بسرعة ثم قالت:

- من فضلك يا هشام، الوقت مش مناسب.

أوماً "هشام" برأسه وأطرق بنظره إلى الأرض، قال بعد فترة من الصمت:

- أكرم لسه نايم؟.

لم تجبه "ليلى" واكتفت بإيماءة خفيفة من رأسها، فقال بعد أن فقد الأمل في إستمالتها:

- طيب أنا هطلع على العيادة دلوقتتي، هكلمك بالليل علشان ننفذ باقي الإتفاق.

ألقت بجسدها المنهك على أحد مقاعد الصالة الوثيرة بعد أن إنصرف "هشام".. تناولت مفكرة "أكرم" تحاول



استكمال قراءة ما دونه فيها، لكنها أمسكت برأسها حين عصف بها صداد فظيع.. كان عقلها يواجه معركة طاحنة، تتنازعه أفكار كثيرة متضاربة بعد أن قرأت رسائل "أكرم".. توجهت نحو غرفة النوم مترنحة بعد أن دار رأسها من شدة الألم، كان "أكرم" ما يزال نائمًا يكسو وجهه الحزن.. أمسكت بحقيبة يدها تفتش فيها، توترت أعصابها حين أخرجت علبة دواء.. جلست على حافة الفراش تتأمل جسد "أكرم" الممدد، أخذت تجيل بصرها بينه وبين المفكرة.. فتحت علبة الدواء تهم أن تأخذ منها حبة، لكنها سرعان ما ألقت بالعلبة بعيدًا على الأرض.. كانت قد امتنعت عن تناول الدواء الذي وصفه لها "أكرم" منذ فترة طويلة، قبل حادث وفاة "فريدة" بقليل..

- ما سمعتكيش وانتي داخله!!

غمغم "أكرم" وهو يفتح عينيه بوهن بعد أن أزعجه صوت سقوط علبة الدواء على أرضية الغرفة.. تأملته "ليلى" فترة ثم قالت:

- عامل إيه دلوقتي؟.

أوماً "أكرم" برأسه في بطء ولم يرد، أمسك برأسه حين حاول النهوض فدارت الدنيا من حوله.. سألته "ليلى":



- أعملك قهوة؟.

هز "أكرم" رأسه نافيًا ثم تمت بحروف مقتضبة:

- متشكر.

كان الإرتباك يفرد أشرعته عليهما، كانا كحبيبين يخشى
كلًا منهما الإفصاح عن مشاعره للآخر.. قامت تغادر
الغرفة، لكن "أكرم" ملح مفكرته الخاصة في قبضتها فقال
على الفور:

- قرأتي كل اللي فيها؟.

توقفت عن الحركة ثم التفتت نحوه، نظرت في
صفحة عينيه.. رأت فيهما حياتها بأكملها، تجسدت أمامها
كل ذكرياتهما الماضية من جديد.. كادت أن تبكي، لكنها
تمالكت نفسها وقالت:

- ما كنتش أعرف انك بتكتب حلو.

إبتسم "أكرم" حين أجابته، وقال بنبرة حانية:

- بقالنا كثير ما اتكلمناش مع بعض، خليكي جنبى..
من فضلك.

توترت عضلات وجهها، وبدا عليها أنها تقاوم شيئًا..
لكنها في نهاية الأمر استجابت، وعادت إلى مكانها على



حافة الفراش تلتزم الصمت.. قال محاولاً كسر حاجز الصمت الذي طال بينهما:

- عمر الحياة ما سيكون لها معنى لو مقدرناش نعيشها مع اللي بنحبهم.

امتلات عينها بالدموع، لكنها حدقت فيه بغضب ولم ترد.. فاستطرد قائلاً:

- أنا مفيش حاجة عندي أهم منك، أنا طول عمري.....

قاطعته في حدة، ومع كلماتها انهمرت دموعها بغزارة:

- أنا عمري ما حلمت اني اتجوز شخص خالي من العيوب، كل حاجة ممكن تتصلح.. لو كنا عاوزين نصلحها.

التزم "أكرم" الصمت، فقذفت بالمفكرة نحوه في عصبية واضحة ثم أردفت بنبرة غاضبة:

- ليه؟، ليه ما صارحتنيش قبل كده بمشاعرك.. كان ممكن تواجهني، تقول لي على مشاكلك.. كان ممكن أحس انك على الأقل بتثق فيا.

- مش ممكن تفهمي، أنا حياتي كانت جحيم.. عيلتي كانوا.....



لم تدعه يكمل فقاطعته بصوت خرج مبوحًا من بين
دموعها:

- مين قالك، أنا عارفه ظروفك كويس.. عارفه قد إيه
كان صعب عليك انك تبعد عن أمك وأبوك، لكن أنا
مش هما.. أنا بحبك يا أكرم.

أنكفأت بوجهها فوق الفراش تنتحب بحرقة، بقي
"أكرم" ينظر لها من بين عينيه اللتان تلالأت فيهما
الدموع.. بعد فترة من الصمت خرج صوته بطيئًا هادئًا
بصورة لافتة حين قال:

- بعد لما حصل الانفصال بينهم، فضلت مع أمي فترة..
في شقة الدقي، لكن ما قدرتش استحمل كثير.. أمي
كانت ست متحررة، خروج وسهر وحفلات.. وفي يوم
كنت نايم، سمعت حركة بره أوضتي.. خفت، صور
لي خيال الأطفال ان ممكن يكون حرامي عرف اننا
لوحدنا أنا وهي فقرر انه يسرقنا أو يخلص علينا..
خرجت من الأوضة وأنا بارتعش من الخوف، لكن
خوفي عليها كان أكبر.. وصلت لباب أوضتها لقيتها
منورة، والباب كان متوارب.. سمعت صوت أمي
بتصرخ، حاولت أمد إيدي أفتح الباب لكن خوفي
غلبني.. قلت أبص الأول، لكن.....



صمت "أكرم" تمامًا وبدا شاردًا، كأن لسانه يعجز عن النطق.. دنت منه "ليلي" ومسحت بكفها على خده.. كان وجهه شاحبًا للغاية، باردًا برودة الأموات.. احتضنت رأسه في صدرها فتنهد تنهيدة طويلة، إنهارت مقاومته وأجهش بالبكاء.. ربتت على رأسه ثم طبعت قبلة حانية عليها حين سمعته يقول بصوت متهدج:

- شفتها وهي بتصرخ، لكن كانت بتصرخ من النشوة.. لسه صورتها وهي نايمة في حضن رجل غريب مطبوعة في عقلي كأنها كانت امبارح، كان بيعاملها بمنتهى العنف والقسوة.. لكنها كانت مبسوفة جدًا من اللي بيعمله معاها.. في اليوم ده أنا فاكر كويس اني فضلت واقف مكاني مش قادر اتحرك، زي المشلول بالضبط.. شفت كل حاجة، اتفرجت عليهم لغاية لما خلصوا.. ما خدتش بالي غير لما لقيته قام من عليها، فتح الباب وهو لسه عريان.. بص عليا شوية وضحك لي ضحكة مش قادر انساها، وقال لي إيه اللي مصحيك لحد دلوقتي يا حمادة.. وبعدين بص ناحية أمي وقالها ده عاوز يغير هدومه يا فريدة.. نظرت ناحية أمي لقيتها متكومة في السرير بتحاول تغطي



جسمها وبتعيط، ساعتها بس اخدت بالي اني بليت
بنطلوني من غير ما احس.

نظرت ليلى نحوه في شفقة بالغة.. كانت رؤيته على
تلك الحالة ترغمها على تذكر ذلك الفتى الذي تحفظ كل
تفاصيله عن ظهر قلب، صاحب الخمسة عشر عامًا الذي
لم تستطع مقاومته أبدًا.. نَحَّتْ غضبها منه جانبًا، رفعت
رأسه تنظر إلى عينيه.. كانت عيناه غائمتان بالدموع،
طبعت قبلة حانية على جبهته ثم أنامته فوق الفراش
واندست في حضنه الذي طالما منحها الدفء والأمان..
كانت تعلم أنه لا يجب أن تقسو عليه الآن، فبعد أن
عرفت منه كل شئ لم يعد بوسعها أن تلومه.. أصبحت كل
فعاله مبررة أمامها حتى وإن كانت قد سببت لها الكثير
من الألم..

أغمضت عينها، تمت لو امتد الزمن بهذه اللحظة
ليصبح أبدياً.. داعبت بلطف صدره فتحسس بكفه
خدها، مدت ذراعها حوله تحتضنه بقوة كأنها تخشى أن
تفقدته مرة أخرى.. التفت بوجهه نحوها، التقت شفاههما
لأول مرة منذ فترة بعيدة.. كانت قبلتهما طويلة جدًا،
شديدة الرقة وبالغة العذوبة.. في تلك اللحظة اجتاحتها
رعشة قوية، اهتز لها كل كيائها.. أحست أنها تريد أن



تنجب منه طفلاً آخر.. اعتدلت جالسة على ركبتيها تنزع قميصها من فوق صدرها، داعبها برفق كأنه يتحسس جوهرتين نفيستين.. تبادلوا القبلات في شغف، وتعانقا بقوة حتى ذاب كل منهما في الآخر..

تجاوزت الساعة العاشرة ليلاً حين إتسعت عينا "معتز" عن أخرهما وهو يغلق حاسبه الشخصي في ذهول، لا يصدق ما وقع عليه بصره حالاً.. كان قد قابل "داليا" منذ ما يقرب من الساعتين بعد أن تلقى منها إتصلاً تخبره فيه أنها لن تقابله في مكتبه، أخبرته أنها مراقبة وأنها تلقت تهديداً بالقتل.. قابلها في أحد مقاهي حي المهندسين المزدهمة بالرواد.. وجدها خائفة، تبذلت هيئتها تماماً.. لم تعد تلك الفتاة الشقراء الجميلة، أصبحت صورتها أقرب لواحدة من تلك الفتيات المدمنات..

لم يطل لقاؤها معه، اكتفت بأن أعطته قرصاً صلباً أزرق اللون من تلك التي تستخدم في تخزين الملفات الإلكترونية.. تناوله منها في دهشة، لكنها لم تمهله.. أخبرته أن خالتها "صفاء" كانت قد اتصلت بها قبل مقتلها بيوم واحد فقط، أعطتها هذا القرص الصلب وأخبرتها أن تحتفظ به عندها لأنها لا تأمن عليه في بيتها.. أوصتها أن

٢١٣

لمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب سحر الكتب

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



تسلمه للشرطة في حال إذا ما أصابها مكروه.. حين سألتها عن محتواه، غضت بصرها وقالت وهي تغادر: "من الأفضل أن تشاهده بنفسك.."

حين عاد لمكتبه أصدر أوامره بمنع أي شخص من الدخول لمكتبه، أوصل القرص بحاسبه الشخصي على الفور وفيه شاهد ما لم يتخيله عقله أبدًا.. كان بالقرص مجموعة كبيرة من الملفات المصورة بواسطة كاميرا تم إخفاؤها بعناية في غرفة نوم "صفاء"، التي عرفها على الفور حين وقع بصره على سريرها الضخم ذو الأعمدة المعدنية.. كل ملف من هذه الملفات يصور لقاءً غراميًا جمع بين "صفاء" وأحد الأشخاص.. على مدى ساعتين كاملتين شاهد "معتز" كل الملفات المصورة.. رأى "أكرم رشدي" في أكثر من ملف، "هشام وهدان" .. لاعبي كرة في أندية شهيرة، رجال أعمال.. شخصيات لم يتعرف عليها، وبعض الشخصيات العامة من أصحاب المراكز الشديدة الحساسية..

أشعل "معتز" سيجارة نفث دخانها في توتر شديد، كان عقله لا يتصور أن يصل الإنحراف والفساد لهذا الحد.. فعلى الرغم من كل القضايا الغريبة التي عمل على حلها، إلا أنه لم يصادف قضية تحمل في طياتها كل



هذا الشذوذ والانحراف.. أخذ عقله يعمل بسرعة كبيرة، يحاول أن يصل لقرار حول كيفية التصرف حيال هذا القرص الصلب الملعون..

”هل أرسل في إستدعاء كل هؤلاء لاستجوابهم؟!..“
حدث نفسه في حيرة..

كان يعلم أن بعضهم محصن بحكم منصبه، وآخرون محصنون من واقع شعبيتهم الجارفة.. خطر في عقله ”أدهم“ ابنه، وتردد في ذهنه سؤال عجز عن إيجاد إجابة له:

”كيف سيكون الحال عندما يكبر أدهم؟“..

هز رأسه في قوة باعدًا عنها تلك الأفكار، أرسل في طلب ”عمرو“.. لم يطل إنتظاره طويلًا حتى جاء الأخير متلهفًا، قال:

- إيه يا باشا، قلقتنا عليك.

نظر ”معتز“ إليه طويلًا ولم يرد، فاستطرد ”عمرو“:

- أنا جهزت لسيادتك التحريات الي طلبتها عن هشام وأكرم وليلى، في كلام كثير بيتقال ان أكرم وليلى علاقتهم الزوجية مش تمام بعد ما بنتهم ماتت.. وفي أقوال بتقول ان ليلى على علاقة مع هشام.. المهم



بقى يا باشا ان هما الثلاثة كانوا في عيادة أكرم
أمبارح الصبح بدري.. وفي ناس شافتهم نازلين شايلىن
سجادة كبيرة، الناس بتقول ان شكلهم كان مش
طبيعي، كمان في ناس بتقول...
أشار "معتز" بيده نحو "عمرو" ليتوقف، وأعاد
تشغيل حاسبه الشخصي مرة أخرى..

- يا نهار اسود!!.

نطق بها "عمرو" وهو لا يصدق ما يراه، مضى
"معتز" يستعرض أمامه كل الشخصيات التي تم تصويرها
حتى قفز "عمرو" من مقعده صارخًا:

- حتى ده كمان!!، هي البلد كلها كانت بتاخذ البركة
من الست دي ولا إيه؟!

أغلق "معتز" حاسبه الشخصي ثم التفت نحو
"عمرو"، قال:

- ودلوقتي إيه العمل؟.

- العمل عمل ربنا يا باشا، إحنا مش ممكن نبعت
نستدعي الناس دول.

- أنا عارف يا عمرو، لكن دول كلهم مشتبه فيهم.



- مفهوم يا باشا، لكن مش كل مشتبه فيه ينفع نستدعيه هنا.
- أنا قلت كده برضه، علشان كده هابعت الهارد ديسك ده للمديرية.

اعتدلت "ليلي" في فراشها ببطء شديد، كانت مرهقة بلا أدنى شهية للحياة.. على الرغم من مطارحتها "أكرم" الغرام منذ سويغات قليلة إلا أن الحب الذي غمرها به لم ينجح في تحسين حالتها النفسية.. لم تتمكن من النوم، فعاد ذلك الإكتئاب البشع يغزو كيائها من جديد..

مدت يدها في ضجر نحو هاتفها المحمول، كانت شاشته تومض معلنة عن تجاوز عقارب الساعة لمنتصف الليل.. تأففت في سأم وهي تزحف خارج الغطاء، ألقّت نظرة خاطفة على "أكرم" النائم جوارها يغط في سبات عميق.. بدا على ملامح وجهه الحزينة لمحة خفيفة من السعادة والسكينة.. طبعت قبلة طويلة على شعره ثم غادرت الغرفة تجر أقدامها..

تهاوى جسدها فوق أحد مقاعد الصالة، أغمضت عينيها في ألم وحزن.. كانت تتنازعها مشاعر كثيرة، حب



”أكرم“ الجارف الذي يستوطن قلبها وحنقها عليه.. لم تعد تعرف ما السبيل للخروج من تلك الورطة.. ”هشام“ لن يتركها، ربما يؤذي ”أكرم“.. حينها لن تسامح نفسها أبد الدهر..

عاودتها نوبة غاشمة من نوبات الصداع الفظيخ، التي باتت رفيقة لها منذ وفاة ”فريدة“.. بحثت عن أقراصها المسكنة، توجهت للمطبخ وتناولت قرصين بسرعة.. كانت تحتفظ بتلك الأقراص دومًا تحسبًا لنوبات الصداع التي تعصف برأسها، خاصة بعد أن توقفت عن تناول الدواء الذي وصفه لها ”أكرم“..

هدأت حدة الصداع قليلًا، عادت تفكر من جديد في ”أكرم“.. شعرت نحوه بالرتاء، رأت أنه أصبح أكثر وحدة منها بعد أن نهش حزنه الدفين روحه.. لكن.. ”ألسنا جميعًا بداخلنا مثل هذا الحزن..“، حدثت نفسها..

قديمًا كانت قد سمعت أمها تقول: ”بداخل كل منا يرقد وجع صامت!!“.. تعجبت حين أدركت أن الحياة حقًا حزينة، حتى في تلك اللحظات القصيرة التي نشعر فيها بالحب يغمرنا شعور غامض بالخوف.. الخوف من إنتهاء تلك اللحظات، والخوف من فقدان من نحب..



”لابد أن أذهب للقاء هشام، لا مفر من ذلك..”،
غمغمت ثم قامت واقفة.. لكنها توقفت بعد أن لمحت
ذلك الملف الأخضر اللون، الذي كانت قد أخذته من
عيادة ”أكرم“.. أمسكته بين يديها تنظر له في شروء..
أخرجت ورقة فارغة من بين طياته، شرعت تكتب رسالة
أخيرة إلى ”أكرم“..



(٤١)

مضى "هشام" يجوب غرفة مكتبه الواقعة في إستراحته الخاصة، الملحقة بمصحته العلاجية الفاخرة.. كان يتحرك في عصبية واضحة، تملك منه الغضب بشدة حتى أنه إحتسى كأسين من الويسكي بالرغم من إمتناعه عن تناول الكحول منذ أكثر من عامين.. كان كل شئ يومض أمام عقله كأنه لقطات لشريط سينمائي.. سمع صوت "ليلى" تحدثه في الهاتف منذ أكثر من عام، تخبره بحاجتها لمساعدته.. خفق قلبه لتلك الذكرى تمامًا كما خفق حين سمع صوتها آنذاك..

حين قابلها أخبرته أنها قد يُست من إصلاح "أكرم"، حكى له عن مغامراته النسائية التي لا تنتهي.. ذكرت له اسم "صفاء عبدالحميد"، إحدى عشيقات "أكرم".. أخبرته أنها اتصلت بها، وحكى لها كل شئ عن علاقتها



مع "أكرم" .. في هذا اليوم بكت "ليلى" كثيراً، كان لبكائها أثر عجيب عليه.. تمزق قلبه لدموعها، لكنه شعر بسعادة عجيبة للجوئها إليه.. أحس أخيراً بالإنصار على "أكرم" .. شعر أنه أفضل منه، ربما للمرة الأولى في حياته.. لكن ما أثار قلقه حقاً هو نظرات "ليلى" ..

كانت نظراتها ما تزال محتفظة بذلك البريق الضاحك البرئ، تماماً كذلك الذي كان يلمع في عينيها حين عرفها وقت أن كانت طالبة في الجامعة.. لكن شئ ما في نظراتها وحدسه كطبيب أوحيا إليه بملاحظتها..

كانت عيناها منكسرتين، تظهر أسفلهما تجاعيد وخطوط زرقاء تنم عن قلة النوم.. حتى تلك الإبتسامة التي حاولت "ليلى" رسمها على وجهها في ذلك اليوم لم تفلح في الإحتفاظ بها طويلاً.. بشرتها المائلة للإصفرار، شرودها الطويل في منتصف الحديث.. كل هذه الأعراض دفعته للإعتقاد بأنها مريضة، ضعيفة وتائهة.. لذا قرر مساعدتها ومحاولة علاجها..

مضت الأمور فيما بينهما طبيعية حتى أخبرته في أحد الأيام بموت ابنتها "فريدة" .. جاءته وقتها منهاراً تماماً، لا تقدر على الوقوف.. إحتواها بذراعيه، طمأنها بأن كل شئ سيكون على ما يرام.. إزداد قربهما بعد تلك الحادثة،



أصبح لا يطيق الإبتعاد عنها.. لكنه كان يشعر طوال الوقت بوجود حاجز بينهما يخشى تجاوزه.. كان طيف "أكرم" دومًا ما يحول بينه وبينها..

ثم جاء اليوم الذي إكتشف فيه حقيقة مرضها.. كانت الوقت متأخرًا حين دخلت عليه مساعدته تخبره بأن سيدة تطلب لقاءه في أمر عاجل.. اقتحمت "ليلي" الغرفة بينما كان "هشام" ما يزال يتحدث مع مساعدته.. ما أن رآها حتى أشار لمساعدته بالإنصراف وهو ينظر نحوها باستغراب شديد..

كانت مختلفة، مختلفة تمامًا..

ترتدي ثوبًا قصيرًا للغاية أسود اللون، فاضح يكشف نصف صدرها تقريبًا منقوش عليه رسم لفراشة.. تفوح منها رائحة عطر نفاذ.. وشعرها الأسود الغزير يبدو أنها قضت وقتًا طويلًا في محاولة عقصه وتصفيفه، لكنها أصيبت بالملل فتركته دون الإنتهاء من تسريحه.. فبدا مهوشًا فوق رأسها، وتدلت خصلة طويلة منه على جبينها..

أخذت تقترب منه في هدوء أثار الخوف في قلبه.. كانت نظراتها جامدة، ثابتة على وجهه كأنها لا ترى أمامها غيره.. كانت عيناها تلمعان ببريق غريب، شارد



لكنه شديد القوة والنفاذ.. بريق يعرفه جيداً بحكم عمله.. بريق الجنون..

لم يستطع السيطرة على نفسه، فغلبته الدهشة حينها وقال:

- ليلى!!

إقتربت منه في دلال، أخذت تتمايل في مشيتها تبرز فتنة رديها.. انحنى فوق مكتبه بنصفها العلوي ثم مسحت بيدها على صدرها، قالت بصوت بدا كالفحيح:

- بتحبها!؟!

تغلب على دهشته وتمالك أعصابه سريعاً، حاول أن يركز ذهنه في مراقبة أفعالها الغريبة.. لم يصددها، تظاهر بالإستسلام لها حتى يكتشف حقيقة أزمته.. إبتسم لها في هدوء متصنع ثم قال:

- طبعاً بحبها.

دارت بجسدها حول المكتب ثم اقتربت منه أكثر، ألقت بنفسها فوقه.. جلست على فخذه، ثم قالت بصوت مخنوق:

- كل الرجالة بتحب ليلى، مش كده؟.. مفيش حد يقدر يقاومها.



أنهت عبارتها السابقة ثم قربت شفيتها من شفتيه،
وهمت بتقبيله.. إشتد لمعان البريق المخيف في عينيها،
تهدجت أنفاسها في حشجة مسموعة..

بالرغم من طوفان المشاعر التي غمرته، تلك الأحاسيس
يكنها لها.. إلا أنه تمكن من السيطرة على نفسه بصعوبة..
فأمسك بها يرفعها من فوق فخذها ثم انتفض واقفًا، أخذ
يهزها بعنف من كتفيها ويصيح:

- ليلى فوقي، كفاية كده.

اشتد الجنون في عينيها وكشفت عن أسنانها كأنها تهتم
بعضه.. قالت وهي تصرخ بصوت أعلى من صياحه:

- انت ليه مش عاوزني؟!، ليه مش عاجباك؟!.

مدت ذراعيها تحاول التعلق بعنقه، قربت وجهها منه
تحاول أن تنقض بأسنانها على شفتيه.. فعاد يصرخ فيها
من جديد وهو يهزها في عنف أكبر.. يحاول إبعادها عن
وجهه، وعيناه مسلطتان على عينيها لمراقبة ذلك البريق
المخيف.. لكنها لم تكن تسمعه، ظلت تصرخ بهستيريا
شديدة:

- حرام عليك، حرام عليك.



لم يكن أمامه طريق آخر.. رفع كفه وهوى به على وجهها بقوة شديدة.. وجمت لبرهة، كأنها لم تشعر بالصفعة.. تاهت عينيها للحظات ثم عاودت الهجوم عليه.. بكل قوته صفعها صفعة ثانية، ثم الثالثة..

سقطت على الأرض أسفل قدميه، تنظر نحوه بعينين متسعيتين كأنها بدأت تفيق.. بدأت تستعيد شخصيتها الحقيقية..

ظلت على تلك الحال لفترة.. تنظر نحوه بعينها الواجمتين المتسعيتين عن آخرهما، أنفاسها لاهثة كأنها عادت للتو من مشوار بعيد.. لحظات، وبدأت رموشها الطويلة تهتز فوق عينيها هزات سريعة متتالية.. أخذت تتلفت حولها في ذهول كأنها لا تعرف أين هي.. عادت تنظر إليه من جديد كأنها تسأله.. ثم نظرت إلى نفسها، إلى ثوبها الفاضح وصدرها المكشوف.. وضعت ذراعيها فوق صدرها تحاول ستره ثم شهقت شهقة حادة.. وسقطت في نوم عميق، كأنما أغشى عليها.. تركها لتنام، فلم يكن في وسعه أن يفعل شيئاً آخر..

ومنذ ذلك اليوم والعلاقة فيما بينهما أصبحت وطيدة.. أخبرها بأن تمتنع عن تناول الدواء الذي وصفه لها "أكرم".. كان يستمتع أكثر حين تستحوذ عليها الشخصية



الثانية.. كانت جامحة هيسيرية، لا تتورع عن فعل شئ.. مارس معها الحب كثيرًا، كما لم يمارسه مع غيرها.. حين تفيق كانت لا تتذكر شيئًا مما حدث.. بدأت أحلامه تغدو واقعًا، أصبح يلმسه كل يوم.. فقط كان "أكرم" هو العائق..

كان يعلم أن توقفها عن تناول الدواء سيزيد من سوء حالتها، لكنه لم يبال وأقنعها بضرورة الإمتناع عن تناوله.. كان في حقيقة الأمر يخشى إن عادت لها شخصيتها الحقيقية أن ترفضه كما فعلت قديمًا، كان يخاف أن تختار كما هي عاداتها "أكرم"..

حين أخبرته شخصيتها الثانية برغبتها في الإنتقام من "أكرم"، عزمها على التخلص منه.. لم يتردد، ووافق على الفور.. أخبرها بأن تعطيه دواءً مهدئًا منحها علبته، لكنه كان في حقيقته دواءً يسبب الهلاوس والإضطرابات.. فقط بدل علبه الدواء الأصلي ووضع فيها حبوب الهلوسة.. ثم شاركها في إزاحة كل من عكر صفو حياتها من طريقها.. "صفاء" و"إيمان"، حتى "صباح".. بل أنه شاركها في تحليل شعور "أكرم" نحوهم.. تذكر تلك القبله التي منحها لها حين أخبرته أنها تظن أن "أكرم" يبحث في "صفاء" عن



أمه وفي "إيمان" عن الحبيبة، يأمل أن يجد في "صباح"
الإبنة التي فقدتها..

صب لنفسه كأسًا جديدة ثم جرعها دفعة واحدة،
تقلصت ملامحه لهولة من مرارة مذاق الكحول.. أمسك
بهاتفه المحمول ثم طلب رقمًا، جاءه الرد على الجانب
الآخر فقال:

- هستناكي دلوقتي في الإستراحة بتاعة المصححة.

صمت قليلًا ثم قال بحدة:

- أيوه دلوقتي، الموضوع مهم.. مش هينفع يستنى
للصبح.

أنهى مكالمته ثم تمتم في غضب:

"ليس الآن يا أكرم، لن أخسر كل شئ الآن.."

فتح "أكرم" عينيه بتكاسل، كانت لحظات السعادة
القليلة التي حصل عليها مع "ليلي" قبل نومه مازالت
تسيطر على حواسه.. تشاءب وفرد ذراعيه إلى أقصى
مداهما، ثم التفت إلى جواره يبحث عنها.. ابتسم حين لم



يجدها نائمة، خمن أنها ربما تجلس كعادتها على مقعدها الأثير في الصالة..

قام مترنحًا من الفراش، كان مفعول سكرة الحب مستحودًا عليه إلى الآن.. خرج للصالة فلم يجدها، نادى عليها عدة مرات.. لكن، لا مجيب..

بدأ القلق يستولي على ذهنه.. لكنه لمح ذلك المملف الأخضر موضوعًا على كرسيها الأثير.. اقترب منه فوجد ورقة مطوية بعناية أسفلها.. فتحها وقد تملكه الفضول، وشرع يقرأ ما فيها..

”لا توجد سوى امرأة واحدة فقط تتربع قلب الرجل، وكذلك هو رجل واحد من يأسر قلب المرأة، أما ما عدا ذلك فليس سوى محاولات يائسة للتعويض..“ لم أجد أفضل من هذه العبارة أبدأ بها رسالتي الأولى والأخيرة لك..

كان علي أن ألقى وراء ظهري كل ما جرى، لكنني لم أستطع حمل نفسي على ذلك.. حين كنت صغيرة سألت نفسي كثيرًا لماذا نحيا؟.. لم أتمكن من الإجابة، وكذلك أبي وأمي لم يمنحاني جوابًا مقنعًا.. خمنت أنهما لا يعرفان أيضًا.. على أية حال من بإمكانه أن يعرف؟..



اكتشفت مع مرور الأيام وتقدمي في العمر أن الأمر ليس إلا خدعة كبيرة.. فالحياة ما هي إلا كذبة نحيها في حيرة بلا هدف، ندور في فلكها تائهين بغير توقف.. ظاهرها أنك يتوجب عليك الحياة فور ولادتك حتى يأتيك الموت.. كلا ليس هذا حقيقياً على الإطلاق.. فالحقيقة أننا من الممكن أن نموت ومع ذلك نبقي أحياء.. هذا ما حدث معي منذ أن ماتت "فريدة" ..

كنت أتمنى أن أجذك إلى جوارى حينها، لكن ذلك لم يعد يهم الآن.. هل أخبرتك من قبل أنني كلما انتهيت من الإستحمام كنت أرتجف.. نعم كان جسدي يرتجف بشدة، ليس من البرودة ولكن من الوحدة.. يهزني النواح الذي أكتمه، الأسى على يوم آخر سينقضي دون أن أكون إلى جوارك.. أصبحت كنهز جف ماؤه، إمتلأ مجراه بحجارة قاسية أخذت تقطع في لحمي قطعة تلو القطعة..

حاولت كثيراً أن أبتعد عنك، لكنني فشلت.. فمأساتي الحقيقية تكمن في أنني أحبك بصورة لم أقدر على اخفائها أو حتى تجاهلها.. فأنا فقط التي تعرف كم أنت أذكي وأرق وأنبل رجل في هذه الحياة.. عرفتك قبل أن ألتقيك.. كنت في بدني طوال الوقت لكنني لم أحسك حتى التقينا،



في شفتي لكنني لم أذوقك حتى قبلتك، في عيني لكنني لم أرك حتى غامت رؤيتي بين أحضانك..

كنت عذابي المقيم، شوقي الدائم.. كنت دومًا ذلك الشيء الرائع الذي أتذكره كي أتمكن من البقاء.. فأني تكون لدي المقدرّة على تحمل فراقك..

أتعلم ما أريده حقًا؟!.. الصمت، لا تتعجب فأنا أتوق للحظة صمت بداخلي.. صمت يمكنني فيه سماع صوت تدفق دمي في عروقي.. صمت أسمع معه صوت انسياب دموعي على خدي.. لكنني اكتشفت أنه لا وجود لمثل هذا الصمت سوى في مكان واحد بعيد.. هناك في القبور، عند "فريده"..

أرجو أن تسامحني على كل شيء، فأنا قد سامحتك.. ولتعلم أي أحبك إلى الدرجة التي أستطيع معها أن أختفي من حياتك إذا كان هذا الاختفاء سيجعلك سعيدًا.. فبك غسلت روحي من صداً لازمها حتى ظننت أنه لن يفارقها أبدًا، ومعك بدأت حياتي الحقيقية.. ويبدو لي أنها ستنتهي قريبًا كما بدأت معك..

أحبك..



نظر "أكرم" إلى الورقة بين يديه لا يصدق ما قرأته
عيناها، أخذ يتلفت حوله كالمجنون.. علم ما تنتويه "ليلي"،
كانت ستنتحر.. توجه سريعاً لغرفة نومه، ارتدى ملابسه
وعقله مشغول بالتفكير عن المكان الذي قد توجه إليه..
فتح باب الشقة، لكنه توقف حين سمع هاتفه المحمول
يرن.. عاد وقد إمتلأت نفسه بالسخط، لكنه لسبب لا
يعلمه قرر أن يرد..

جاءه صوت "هشام" يقول في سخرية:

- أنت لسه عايش يا دكتور؟!.

جز "أكرم" على أسنانه وقال في حدة:

- أنا مش ناقصك دلوقتي، ليلي مش لاقيتها واحتمال.....

قاطعها "هشام" في هدوء:

- ليلي عندي، لو عايزها تعالى.. وساعتها ممكن نشوف
هي هتختار مين؟.

- أنت بتقول إيه يا حيوان انت؟.

- زي ما سمعت بالضبط، أنا مستنيك في إستراحة
المصحة بتاعتني.. عارفها؟، في نفس المكان اللي دفنا
فيه صباح.



أنهى عبارته ثم أغلق الخط في وجهه، تركه وقد فارت
الدماء في رأسه.. قرر أن يتخلص منه، يسترد "ليلي"..
مهما كان الثمن..

- انت لسه ما روحتش يا باشا؟.
- انتبه "معتز" من شروده حين سأله "عمرو"، رفع
رأسه نحوه ثم قال:
- هروح أعمل إيه؟، مفيش حد في البيت.
- هي الهانم لسه عند والدتها؟.
- إكتفى "معتز" بإيماءة من رأسه، ولم يرد.. استطرد
"عمرو" قائلاً:
- يا باشا مفيش داعي للعند، برضه هي عندها حق..
سيادتك تقريباً متجاوز المباحث.
- رmqه "معتز" بنظرة حانقة فالتزم "عمرو" الصمت،
بعد فترة قطعه "معتز" حين قال بنبرة رسمية:
- عملت إيه في مراقبة الدكاترة؟.



- تمام سعادتك، هشام وهدان موجود في طريق اسكندرية الصحراوي.. في المصحة بتاعته.. فرد المراقبة اللي تحت بيت أكرم رشدي لسه قافل معايا، قال لي ان ليلى نزلت من البيت.. اتحركت بعربيتها، هي معاها تويوتا زرقاء.. كان عاوز يتابعها لكن أنا قلت له خليك تحت البيت وإياك تتحرك.
- الساعة كام دلوقتي؟
- ثلاثة إلا ربع صباحًا يا باشا.
- غريبة جدًا!!، إيه إلي ممكن ينزلها في وقت زي ده؟!.
- قطع حديثهما صوت رنين هاتف "معتز".. التقطه على الفور ما أن شاهد اسم محدثه، اعتدل في جلسته.. تغيرت لهجته إلى إحترام بالغ:
- تمام يا باشا، تحت أمر معاليك.
- صمت لوهلة، تغيرت ملامح وجهه بصورة عجيبة.. تحدث بعد فترة فخرج صوته مبوحًا:
- لكن سيادتك الموضوع مش محتاج....
- صمت مرة أخرى بعد أن قاطعه محدثه، خرج صوته مرة أخرى لكنه كان باردًا هذه المرة:



- لا يا باشا، مفيش حد غيري شاف الملفات دي.

صمت من جديد ثم قال بنبرة جامدة:

- أوامرك يا باشا، مع ألف سلامة.

ضغط على زر إنهاء المكالمة ثم أمسك بهاتفه يعترضه في يده بقوة شديدة.. وضعه على المكتب ثم خبط بقبضته الضخمة فوقه فأصدرت صوتًا واضحًا.. انتاب "عمرو" القلق لهذا التحول الغريب في سلوك "معتز" فقال بتوتر:

- خير يا باشا، في حاجة؟.

تفحصه "معتز" طويلًا ثم قال:

- المديرية بتبلغني اننا نعتبر التحقيق اتحفظ في قضية صفاء.

- نعم!!، اتحفظ إزاي؟.. مش فاهم.

- إيه اللي انت مش فاهمة بس يا عمرو؟.

- يعني التحقيق اتحفظ ولا لأ؟

- الموضوع مبقاش ضمن اختصاصنا.

- إزاي كده؟!، واحنا مقدمين لهم دليل ادانة صريح؟!.



- ما هو الدليل ده كان السبب للأسف.
 - أنا مش قادر أصدق، طيب والناس اللي ماتت دي.
 - الله يرحمهم.
 - الله يرحمهم!!، طيب والعدالة؟.
 - العدالة في بلدنا نسبية يا عمرو.
- ساد الصمت بينهما لفترة حتى هم "عمرو" بالمغادرة، لكن "معتز" أشار له أن يأخذ هاتفه معه أخبره أنه لا يريد أن يحدث أحد الآن.. تناول "عمرو" الهاتف وذهب إلى مكتبه مذهباً، لا يصدق ما سمعه منذ دقائق قليلة.. قطع حبل أفكاره صوت رنين هاتف "معتز" مجدداً.. حين رد على المكالمة جاءه صوت "هشام" على الطرف الآخر يصرخ قائلاً:
- الحقني يا معتز بيه، أكرم رشدي اتجنن يا باشا.
 - إهدا من فضلك يا دكتور، أنا النقيب عمرو الوقاد.
 - يا عمرو بيه، أكرم لسه قافل معايا دلوقتي.. هددني إنه هيقتلني أنا وليلى.
 - هي ليلي عندك؟.



- أيوه يا باشا، هدها هي كمان بالقتل فهربت
تستخبي عندي.
- تمام، خليك عندك ما تتحركش.. إحنا هنكون عندك حالًا.
- على الفور أمسك "عمرو" بهاتفه المحمول وطلب
رقمًا، قال بعد أن سمع الرد على الجانب الآخر:
- أيوه يا بني، أخبار الهدف المراقب عندك إيه؟.
- لسه نازل من شوية يا باشا.
- وما قتلش ليه ساعة لما نزل؟.
- مش سعادتك قلت لي أفضل مكاني!!.
- لم يجد "عمرو" فائدة من الحوار فأنهاى المكالمة وهو
يسب ويلعن.. تناول هاتف القسم ثم طلب رقمًا داخليًا،
سمع صوت "معتز" يقول في حدة:
- أنا مش قلت مش عاوز إزعاج.
- لكن "عمرو" قال بلهجة جادة:
- أكرم يا باشا بيتحرك دلوقتني، رايح يقتل هشام
وليلي.



(٥١)

كان الماء ينهمر بشدة، كاسحات المطر تميل يمينا ويساراً بأقصى سرعة على الزجاج الأمامي لسيارة "أكرم" .. تنافس في سرعتها تلك السرعة المرعبة التي تنهش بها السيارة الطريق الصحراوي.. فمنذ أن تلقى "أكرم" إتصال "هشام" لم يعد يرى أمامه سوى صورة "ليلى"، تمديدها نحوه في رجاء.. لم يعد يسمع إلا صوتها تطلب منه النجدة.. أصبح إنقاذها واستعادتها هما كل ما يشغل باله، كل ما تبقى له في هذه الحياة.. لذا فقد استعد جيداً لهذا اللقاء.. جز على أسنانه حين نظر لذلك السلاح الناري على المقعد المجاور له، كان خاصاً بوالده..

انتبه من أفكاره على صوت رنين هاتفه المحمول، أبصر إسم "هشام" يومض فوق الشاشة فأجاب على



الفور.. جاءه صوته يقول بنبرة باردة بات لا يكره أكثر منها في هذه الحياة:

- لما توصل عند المصحة، أدخل في الشارع إلى قبلها.. هتلاقيني مستنيك هناك.

لم يزد على تلك العبارة شيئاً، ثم أنهى المكالمة.. إستعرت الشكوك في عقل "أكرم"، لكنه طمأن نفسه وأمسك بسلاح والده يدسه أسفل ملابسه.. لمعت عيناه ببريق الإنتقام..

هدأ من سرعته قليلاً حين اقترب من المصحة.. عرج بسيارته إلى الشارع قبلها، تماماً كما أخبره "هشام".. في نهايته وجد ضوءاً يلمع وسط الظلام بإشارات متكررة، أوقف سيارته بالقرب من السور المرتفع للمصحة.. ترجل من السيارة يحاول إستجلاء الرؤية، التي باتت متعذرة مع اشتداد المطر وغزارته.. حملت له الرياح القوية صوت "هشام" يقول صائحاً:

- لغاية آخر وقت عاوز تحرمني منها.

إقترب منه "أكرم" بخطوات حذرة وهو يقول:

- مش لو كانت بتاعتك من الأصل.

قهقه "هشام" بصوت مرتفع ثم قال يستفزه:



- لا هي بتاعتي، بس إنت اللي مش واخد بالك.

- تقصد إيه؟!.

- قصدي إنك طول عمرك أناني، مش بتفكر غير في نفسك.. حتى ليلي كنت بتعاملها على انها حاجة مسلم بيها، أو عاملها إحتياطي لو واحدة من الستات بتوعك سابتك.

- إيه الكلام الفارغ ده؟.

- دي الحقيقة يا دكتور.

صمت بعدها "هشام" لوهلة ثم أشار لـ "أكرم" بالتوقف عن السير، إقترب منه مسلطاً ضوء الكشاف في عينيه.. رفع "أكرم" كفيه أمام وجهه حامياً عينيه من شدة الضوء، لم يتنبه إلا حين شعر بضربة قوية على رأسه..

أظلمت الدنيا من حوله تماماً، تهاوى جسده.. ارتطم وجهه بعنف في الوحل..

فتح "أكرم" عينيه بصعوبة شديدة.. كان رأسه يؤلمه بشدة، تجلطت بعض الدماء على جبهته.. دوار طفيف



مايزال مسيطراً على عقله، ذلك الضوء المبهر في المكان
يسبب ألماً حاداً في عينيه.. سمع صوت "هشام" يقول
ساخراً:

- حمدالله على السلامة يا دكتور.

- انت أكيد اتجننت.

صمت "هشام" قليلاً ثم قال وهو يمت شفتيه:

- أنا!!، ما اظنش.. لكن إنت، إحتمال كبير.

- مش فاهم.

- مش مهم تفهم، مش كل حاجة بتدور في فلكك يا
كيمو.

ثم أطلق ضحكة ساخرة تردد صداها في فضاء الغرفة
وهو ينظر لمظهر "أكرم" المزري، ملابسه المبتلة المتسخة
من أثر سقوطه في الوحل.. تلفت "أكرم" حوله، حاول أن
يتحرك فاكشف أنه مقيد بحبال غليظة تشد وثاقه إلى
كرسي معدني.. حاول التحرك من جديد فتحرك الكرسي
من تحته مصدراً جلبة، واستعرت آلام حارقة في معصميه
بفعل الحبال.. التفت "هشام" نحوه ثم قال:

- إيه مش عارف تفك نفسك؟، حاول مرة كمان.



- إنت أحقر إنسان شفته في حياتي، لو راجل فكني.

- ليه علشان تقتلني.

قالها "هشام" ثم أخرج من خلف ظهره سلاح والد
"أكرم" .. نظر نحوه طويلاً في شماتة واضحة ثم قال:

- طول عمرك خايب، مش بتعرف تعمل حاجة
لوحدهك.. حتى لما فكرت تقتل، دورت على سلاح
أبوك.

رمقه "أكرم" وقال محتدًا:

- إنت الي الحقد مغطي عينيك، طول عمرك شايف
نفسك أقل مني.. حتى لما نجحت، برضه عاوز تاخذ
حاجتي.

رفع "هشام" حاجبيه ثم قال متعجبًا:

- أنا!، أحقد عليك إنت!!.. مش قلت لك، مشكلتك
إنك فاكرا ان كل حاجة بتدور حواليك.

تجاهله "أكرم" تمامًا، كأنه لم يقل شيئًا.. أخذ يتلفت
حوله ويصرخ مناديًا:

- ليلي، ليلي.

قاطع "هشام" صياحه قائلاً بنبرة مستفزة:



- ما تحاولش، مش هتسمعك.
- حدجه "أكرم" بنظرة غاضبة ثم قال بصوت هادر:
عملت فيها إيه يا حيوان?!.
- ولا حاجة، هي اللي مش عاوزه تشوفك.
- قرن "أكرم" حاجبيه ومتم بحدة:
مش ممكن، مستحيل!!.
- رسم "هشام" على وجهه إبتسامة لزجة وقال بهدوء قاتل:
ليلى اللي إنت تعرفها خلاص، ماتت.
- خرج صوت "أكرم" هادراً حين صرخ فيه:
لو عملت فيها حاجة، أنا هقتلك.
- مش أنا اللي قتلتها، هي قتلت نفسها.
- مستحيل.
- زي ما قتلت فريدة.
- صمت "أكرم" تماماً حين سمع اسم ابنته، ارتعشت
عينه اليسرى واهتزت شفته السفلى.. رغماً عنه خرج
صوته مرتعشاً ضعيفاً حين قال:
إنت بتقول إيه?!.



- بقولك على الحقيقة، ده حقك عليا كصاحب.
- تمالك "أكرم" نفسه وصرخ بحدة:
إخرس.
- مش بقولك ضعيف، مش قادر حتى تواجه نفسك
بالحقيقة.
- هز "أكرم" رأسه بعنف، قال بصوت مخنوق بعد أن
شعر بغصة قوية في حلقه:
إخرس، فريدة ماتت بسببي.
- حتى شهادتك الي عملت منك بني آدم، ما كنتش
تستحقها. تقدر تقول لي فريدة ماتت إزاي يا دكتور؟
هز "أكرم" رأسه بعنف أكبر ثم سالت دموعه وهو يصرخ:
مش فاكرا؟.
- طبعًا، مش هتفتكر.. لأنك ما تعرفش حاجة عن
الحكاية دي خالص.
- قال "أكرم" بصوت مكتوم، شردت عيناه كأنه يتذكر:
أنا فقدت الذاكرة بعد الحادثة، وليلى قالت....
- قاطعه "هشام" بضحكة مستهزئة ثم قال في سخرية:



- هههههه ليلي قالت، بابا وماما كمان قالوا. هو انت مش بتعرف تقول حاجة لوحذك أبداً؟.
- أشاح "أكرم" بوجهه عنه محاولاً مداراة دموعه التي أبت أن تتوقف، قال بصوته المكتوم:
- انت أكيد مش بني آدم.
- لمعت عينا "هشام" بشدة، وقال بعد أن فرد قامته في زهو:
- صح، في دي عندك حق.
- ثم إقترب من وجه "أكرم" ورماه بنظرة ظهر فيها الحقد، بانث فيها شماتته.. خرج صوته كالفيح:
- أنا فعلاً مش بني آدم، أنا الدكتور هشام وهدان.. أنا اللي قدرت أشخص مرض مراتك لما جاتي عيادتي بترتجف علشان خنقت بنتها بايديها، مش فاكرة ولا عارفه إزاي ده حصل.
- هز "أكرم" رأسه وأخذ يتمتم في ذهول:
- مش معقول.
- أنا إللي عرفت في اليوم ده إن ليلي عندها ازدواج في الشخصية، عرفت منها إنك كنت كاتبلها مهدئ.

صمت "أكرم" مذهولاً ولم يرد بعد أن زاغت نظراته،
فاستطرد "هشام" في صوت بدا مشتعلًا بنيران الغل:

- أنا إلي منعت عنها الدواء، خليت شخصيتها الثانية
تسيطر. كنت بحقق حلمي الأخير الي لسه ما
حققتوش، حلمي الي فلوسك ومكانة أهلِكَ حرموني
منه. أنا إلي خليتها تبدل الحبوب بتاعتك من علبة
المهدئ، خليتها تحط لك بدالها حبوب هلوسة.
- لكن أنا...

لم يتمكن "أكرم" من إكمال عبارته بعد أن صرخ فيه
"هشام" مقاطعًا:

- انت تسكت خالص. انت خلاص، مش موجود.
دلوقتي في أنا وبس، وأنا مش هسمح لحد إنه ياخذ
مني حاجة أنا عاوزها.
- ليلى!!

إلتفت "هشام" خلفه بحدّة فور سماعه لـ "أكرم" ينطق
باسمها، كانت "ليلى" تستند على باب الغرفة بذراعيها..
تترنح وقد ظهر على ملامحها الوهن والإعياء الشديد،
بالكاد تقف على قدميها بصعوبة بالغة.. حاول "أكرم"
التملص من قيده كالمجنون، لكنه فشل.. تحرك "هشام"



سريعًا نحوها فتهاوى جسدها بين ذراعيه، إلتقطتها ثم طبع قبلة حانية على جبينها وقال بصوت حان:

- إيه اللي خلاي تقومي دلوقتي يا حبيبتي؟.
- خرج صوتها ضعيفًا مهزوزًا كأنها واقعة تحت تأثير مخدر:
- أنا حاسة إني بتقطع، بتقسم نصين.. دماغي هتتفجر.
- ليلى.

رمت بنظراتها في وهن نحو "أكرم" حين سمعت نداءه بنبرة صوته الحانية، لكن نظراتها كانت غريبة.. كانت شاردة تلمع بذلك الوميض.. اتسعت عينا "أكرم" وسالت دموعه من جديد حين أيقن بجنونها، لكنه تماسك وقال بصوت حاول أن يبقيه هادئًا:

- أنا أكرم يا ليلى.
- حملها "هشام" بين ذراعيه بعيدًا عن "أكرم"، خوفًا من تأثير نظراته عليها.. أجلسها خلف المكتب ثم أراح رأسها على ظهر مقعده، استكانت وأغمضت عينيها.. مسح على شعرها في حنان وهو يغمرها بنظرات تقطر بالهيام، ثم التفت نحو "أكرم" قائلاً:

- ما تحاولش، ليلى اللي انت تعرفها خلاص انتهت.



- مش ممكن!!.
- وانت كلها دقايق والبوليس يبجي ياخدك علشان
النسوان بتوعك اللي ماتوا.
- لكن أنا مش فاكر أي.....
- قاطعه "هشام" بحدة، وهو ينظر نحوه بإزدراء بالغ:
مش فاكر، مش فاكر. زهقتني يا أخي، قلت لك
مش مهم. المهم ان كل حاجة متظبطة.
- قالها ثم رماه بإبتسامة صفراء مستفزة، صب لنفسه
كأساً من الويسيكي جرعتها دفعة واحدة ثم قال:
كل حاجة بالضبط على مقاس رقبتك، علشان لما
عشماوي يلف الحبل حولها ما يتعبش.
- رماه "أكرم" بنظرة إشمزاز بعد شعر أنه لامفر من
مواجهة الموت.. قرر ألا يظهر ضعفه أمامه، أن يخوض
معركته معه حتى النهاية:
- إنت فاكر إني هزعل لما أموت، بالعكس أنا هرتاح.
قهقه "هشام" وقال في سعادة واضحة:
- حلو قوي، يبقى كلنا هنرتاح.



تجاهله "أكرم" ثم التفت نحو "ليلي" التي كانت
مغمضة العينين، وقال يخاطبها:

- أنا بس عاوز أعرف منك حاجة أخيرة، إنت صحيح
مبقتيش بتحبيني؟.

لم يأتِه رد منها وبقيت عيناها على حالهما ساكنتين،
أتاه صوت "هشام" يقول ساخرًا:

- قلت لك ما تتعشب نفسك.

لم يلتفت "أكرم" نحوه، وواصل حديثه مع "ليلي":

- أنا كنت السبب في موت فريدة ولا لأ؟، جاوي
أرجوي.

لم ترد مجددًا، وإن إرتعش جفناها قدر يسير.. فأردف
"أكرم" بحدة:

- ده بيقول إنك انتِ اللي قتلتها.

أزدادت الرعدة في جفنيها، بدا عليها أنها تقاوم شيئًا
خفيًا.. فصرخ "أكرم" فيها بأعلى صوته:

- بيقول إنك قتلتى بنتنا يا ليلي.

ارتعش جفناها واهتزنا في حركات سريعة متعاقبة،
تهدجت أنفاسها في حشجة مسموعة.. انتفض جسدها



يرتج بقوة، فصرخت بصوت مرتفع.. فتحت عينها عن آخرهما تنظر حولها في ذهول كأنها ترى أشياء لا يراها غيرها، تلوح بذراعيها في الهواء وتتمتم بعبارات غير مفهومة.. حاولت الوقوف، كاد أن يختل توازنها فإستندت بكفيها على طرف المكتب تقاوم السقوط.. نظرت نحو "أكرم" نظرة خاطفة.. رأى فيها تلك النظرة التي يعرفها جيداً، التي يعشق تفاصيلها.. فجأة تهاوي جسدها، ارتطمت رأسها بالأرض في صوت مرتفع.. بدأت تتلوى وتتشنج في حركات عنيفة، كانت ترى خيالات وأطياف تتحرك من حولها.. بدأت الدنيا تظلم من حولها، ذلك الطنين اللعين تزداد حدته.. حتى باتت لا تسمع سواه.

خفت حدة الطنين شيئاً فشيئاً، بدأ الهدوء يسود عقلها.. فتحت عينيها في ببطء، كانت تشعر أنها خفيفة للغاية وحالة غريبة من السكينة تسيطر على كل كيانها.. كأنها فراشة صغيرة تحلق في أعالي السماء بحرية مطلقة.. تلفتت حولها فلم تر شيئاً في البداية، شيئاً فشيئاً بدأت الرؤية تنجلي أمامها..

كانت ترى نفسها واقفة في غرفة نوم "فريدة" بالقرب من فراشها، ترميها بنظرات غريبة.. نظرات شاردة جامدة



لا حياة فيها، و"فريدة" تنظر لها بحب ويصدر عن فمها غمغمة طفولية بريئة.. رأت نفسها تتحرك نحو الفراش بهدوء غريب ثم تميل برأسها إلى اليمين قليلاً، فجأة أمسكت بالوسادة الوردية ووضعتها فوق وجه "فريدة"..

لم تتحمل أكثر من ذلك فأشاحت بوجهها سريعاً وهي تحاول الصراخ بعد أن انهمرت دموعها، لكن صوتها لم يخرج من فمها كأنما أصابها الخرس.. حاولت أن تتحرك، أن تهرب من هذا المكان الغريب لكنها لم تستطع.. أخذت تتلفت حولها في ذعر وهي تبكي بحرقة، لكن بكاءها كان بلا صوت..

بيأس واستسلام نظرت أسفلها، شاهدت جسدها ممدد على الأرض بلا حراك.. يجلس "هشام" بجواره يحاول إفاقته، يجري له الإسعافات اللازمة.. "أكرم" ينظر نحوهما في ذهول وقد تسمر فوق الكرسي..

- أنت كويسة؟!، قلقتيني عليكي.

إنتهت حين سمعت تلك العبارة، التفتت ناحية الصوت فاتسعت حدقتها من الفزع.. رأت نفسها تقف أمامها، وتتحدث معها.. كل شئ فيها يشبهها تماماً.. لكن نظراتها كانت مختلفة.. جامدة، ثابتة على وجهها كأنها لا ترى سواها.. عيناها تلمعان ببريق غريب، شارد لكنه



شديد القوة والنفاذ.. تملك الخوف منها فلم تجب،
إكتفت بإيماءة خفيفة من رأسها..

- لسه مش عارفه تنامي؟!.

أجابت بعد أن بلعت ريقها لتقاوم ذلك الجفاف
الشديد الذي إجتاح حلقها:

- انتِ عارفه اني مش بنام.

- لسه بتحبيه?!.

- السؤال هو، انتِ بتحبيه؟.

- أنا مش بحب حد غيرك، لكن هو لازم يعرف انك
قوية.. لازم يدفع ثمن كل اللي عمله.

قالتها ثم أشارت بيدها إلى الأسفل، ناحية "هشام"
و"أكرم".. نظرت "ليلى" فشاهدت "هشام" وقد تملك منه
غضب رهيب، يلتفت ببطء شديد ناحية "أكرم".. كانت
كأنها تشاهد فيلمًا سينمائيًا بالحركة البطيئة.. شاهدت
تلك النظرات الممتلئة بالحقد والكراهية التي رماه بها،
"أكرم" مقيد إلى الكرسي بلا حول ولا قوة.. ثم سمعت
صوت "هشام" يأتي من مكان بعيد جدًا كأنه يخرج من
أعماق الماء حين صرخ بجنون:

- هقتلك يا أكرم، هقتلك.



قالها ثم قام يتحرك بنفس البطاء ناحية المكتب،
يلتقط سلاح والد "أكرم" .. إلتفتت "ليلى" نحو نفسها
وقالت في رجاء:

- بلاش تعملي كده، أرجوكي.
أناها الرد في صورة ضحكة هازئة سمعت في أعقابها
صوتها يقول:

- نفس اللي قلتيه لما قتلنا فريدة.
- أرجوكي كفاية، بلاش تقولي كده.. أنا ما قتلتش بنتي.
- خايفة تواجهي نفسك بالحقيقة، دلوقتي وقت
الإختيار.. لازم تختاري بيني وبينه.
لمعت عينا "ليلى" ببريق مخيف وهي تنظر لنفسها،
قالت حين كتمت أنفاسها في قوة:
- يبقى أكيد هتندمي.

دوى الطنين في رأسها من جديد، ارتسمت على وجهها
ابتسامة حزينة وسالت الدموع من عينيها حين رأت طيف
"فريدة" تلوح لها من أعلى في سعادة.. أغمضت عينيها في
ألم حين بدأت تهوي بإختيارها من أعلى إلى أسفل أرض..

شقتها "ليلي" شهقة قوية، فتحت عينيها عن آخرهما.. أنفاسها لاهثة كأنها عادت للتو من مشوار بعيد.. وبدأت رموشها الطويلة تهتز فوق عينيها هزات سريعة متتالية.. نظرت نحو "هشام" و"أكرم" ثم أخذت تتلفت حولها في ذهول، كأنها لا تعرف أين هي.. لحظات، عادت تنظر إليهما من جديد كأنها تستنجد بهما.. وأخيراً استقرت نظراتها فوق عيني "أكرم"، الذي كانت دموعه تسيل بغزارة على خديه بعد أن ظن أنه فقدتها إلى الأبد.. دنا منها "هشام" ثم جلس على ركبتيه بجوارها، ترك السلاح من يده وأخذها بين ذراعيه يحتضنها بقوة.. أبعده عنها في هدوء وقالت بصوت وهن:

- بلاش يا هشام، بلاش.

رمقها "هشام" باستغراب شديد، ابتعد عنها قليلاً ثم قال:

- بلاش إيه بالضبط!؟!

- كفاية موت يا هشام.

انتفض "هشام" واقفاً، حدجها بنظرات امتلأت بالشك ثم قال:

- إنت هتختاريه تاني يا ليلي!؟!



إعتدلت "ليلي" جالسة بصعوبة، أطرقت برأسها إلى الأسفل وسالت دموعها ثم قالت بصوت خافت:

- مش بإيدي يا هشام.

إبتسم "هشام" في حزن ثم صمت تمامًا، أطرق برأسه للأرض قليلاً.. حين رفع رأسه كانت عيناه تلمعان ببريق مخيف، اندفع نحو "أكرم" المقيد فوق الكرسي.. أحكم قبضته حول عنقه، أخذ يصرخ كالمجنون:

- مستحيل أخليه ياخذك مني تاني، مستحيل.

إربد وجه "أكرم" وتلون بزرقه داكنة، بدأت أنفاسه تتقطع.. شعر بحريق هائل تستعر ناره في رئتيه، بات حصوله على قدر قليل من الهواء دربًا من المستحيل.. حاول أن يختلس نظرة أخيرة نحو "ليلي"، لكن الرؤية غامت أمامه واسودت تمامًا..

فجأة دوى في المكان صوت طلقة بدد ذلك الظلام الذي كاد أن يحكم سيطرته على عامله، انقشعت العتمة من عينيه فجأة.. رأى "ليلي" تقف أمامه تترنج، وفي يدها سلاح والده.. سمع صوت طرقات عنيفة على باب الغرفة، وصياح حاد يأتي من خارجها.. نظر أسفل قدميه فوجد



”هشام“ ملقى على جانبه، خيط من الدماء يسيل من رأسه..

- سامحني يا أكرم، أنا عمري ما كنت لحد غيرك.

إلتفت نحو ”ليلي“ وصوت الطرقات العنيفة فوق الباب يزداد، يكاد يخلعه.. حين نظر نحوها كان الأمر قد إنتهى، حدث كل شئ بسرعة شديدة..

طلقة ثانية حين سمع صوتها إنخلع قلبه، إعتصرت روحه قوة خفية غاشمة.. رأها تسقط أمامه متهاوية وسط بركة من دماؤها.. حاول أن يصرخ باسمها عاليًا، لكن صوته لم يطاوعه.. خائته حنجرته ولم تستجب.. أخذ ينتفض فوق الكرسي كالممسوس حتى سقط به على جانبه.. حاول أن يتحرك نحوها، لكن الكرسي منعه وشل حركته.. تحجرت الدموع في عينيه حين ثبت نظره على عينيها، شاهد آخر بريق للحياة ينسحب منهما..

كان آخر ما سمعه صوت تحطم الباب، كان آخر ما رآه صورة مهتزة باهتة..

صورة ”معتز“ واضعًا يديه فوق رأسه.. ينظر حوله في ذهول، دموعه تتساقط في حزن حقيقي..



كَمْ نَحْنُ بِطَلَبِئِهِمْ فَرِحَ تَحْدِيثِ مَا يَحْتَبِ تَحْدِيثِهِمْ...



(١٦)

طبع "معتز" قبلة حانية على جبين "أدهم" حين رأى أتوبيس المدرسة قد توقف أسفل المنزل.. إحتضنه في حب ثم ربت على كتفه، شجعه بإبتسامة أبوية.. وقف يرقبه من الشرفة حين صعد إلى الأتوبيس وأشار له بيده مودعًا، تداعت في رأسه ذكريات تلك الفترة التي كان بعيدًا فيها عن حضنه..

كان عام بالتمام والكمال قد مر على تلك الحادثة التي غيرت مجرى حياته، قلبتها رأسًا على عقب.. فبعد كل ما رآه بعينيه وعاشه بنفسه لم يستطع تغيير أي شئ، تم إغلاق ملف القضية.. تمت ترقيته على مجهوداته في كشف غموضها، ثم بعد فترة تم إستبعاده من العمل في المباحث وإلحاقه بعمل إداري في المديرية..



”العدالة في بلدنا نسبية“..

تردد صدى تلك العبارة في ذهنه بينما كان يعدل من
هندام بدلته الميري..

- الشاي هيبرد يا حضرة الضابط.

إنتبه من شرود ذهنه حين سمع صوت ”يُمنى“.. إلتفت
نحوها يتأمل رقتها التي طالما عشقها، كانت أسنانها تلمع
من خلف إبتسامتها الرائعة.. قال بصوت حان:

- طبعًا هشربه، كفاية انه من ايدك.

إقتربت منه ووضعت رأسها على صدره.. ضحكت ثم
رفعت رأسها عنه، قالت وهي تعدل من وضع الكاب
المزين بنسر صلاح الدين فوق رأسه:

- طيب يلا روح شغلك بقى، وإلا هخليك متنزلش
النهاردة.

مسح بكفه الضخم على خدها الناعم وهو يقول في
حب:

- مش مهم، الشغل ممكن يستنى.

- دا انت كسلان بقى.



قالتها حين ضحكت في مرح، لكنه قال بعد أن استعاد
مظهره الجاد:

- أبدأً والله، دا أنا النهاردة عندي مشوار مهم.
 - لمحت تلك الدموع التي لمعت في عينيه فقالت:
 - برضه هتروح المشوار بتاع كل أسبوع ده.
 - حاسس بالذنب، مش هقدر ما اروحش.
- ودعته حتى الباب، غادر سريعًا بعد أن قبلها.. طوال الطريق من منزله وحتى العباسية كان ذهنه مشغولًا بما حدث.. تساؤلات كثيرة إستعرت في عقله، لكنه لم يجد لها إجابة..

دخل بسيارته من بوابة مستشفى الأمراض النفسية،
ترجل منها متجهًا نحو عنبر الحالات الخطرة.. إستقبله
أحد الأطباء على الفور بوجه صبور، ابتدره مرحبًا:

- المستشفى نورت النهارده يا معتز بيه.
- صباح الخير يا دكتور، يا ترى أقدر اقابل أكرم
النهاردة؟.

صمت الطبيب لوهلة ثم قال بصوت خفيض:

- الحقيقة، أكرم هرب من المستشفى.



- ثاني؟!.

- والله يا باشا من بعد آخر مرة سعادتك رجعته
وإحنا حاطين عليه حراسة. لكن نعمل إيه بقى؟،
الإمكانيات عندنا ضعيفة جدًا والعمالة بقت زي ما
انت عارف....

لم يمهل "معتز" حتى يكمل حديثه، استدار مغادرًا..
ركب سيارته وقد تملك منه الحزن.. كان يعرف أين
سيجده، تمامًا مثل كل مرة هرب فيها من قبل..
لكنه في هذه المرة قرر أن يترك له حريته..
ربما للمرة الأولى في حياته..

كانت السماء مشرقة والطقس صحو في هذا اليوم
من أواخر أيام الشتاء.. تجمع الطلبة حول بعض البائعة
الجائلين، الذين افترشوا بضاعتهم أمام أبواب المدارس..
يبتاعون منهم الحلوى والبضائع بأسعار أقل بكثير من
أسعار المحلات والدكاكين.. بعد أن أصبحت أسعارها سوطاً
يجلد ظهور الناس، قيداً يحكم الإلتفاف حول رقابهم..

كان الطلبة يصدرن صخبًا وضجيجًا مرتفعًا، منهم من يطلب العسلية وآخر يصيح سائلًا عن سعر الدوم.. التف آخرون حول بائع يفتش الأرض، يعرض علبة كرتونية بداخلها دود القز..

إنّبه الجمع على مجذوب إخرق الزحام بعنف شديد، وهو يغمغم بكلمات غير مفهومة.. حافي القدمين، مهوش الشعر.. يرتدي ملابس رثة شديدة القذارة، يجر من خلفه شوالًا من الخيش المهترئ.. كان يترنح يمنة ويسارًا كأنه سكران أو ممسوس من الجان.. على مقربة منه وقفت إحدى السيدات تلف جسدها بعباءة سوداء تنظر نحوه في قرف ظاهر، قالت بصوت حاد:

- شوفوا الرجل العره، داخل يتحشر بين العيال والنسوان إزاي؟.

توقف المجذوب عن ترنحه ثم نظر نحوها من بين جفنيه الممتاقلين، سالت دموعه من عينيه فلطختا ذلك السواد الذي يلون خديه المتغضنين.. حاول أن يتكلم ففتح شفثيه لكن صوته لم يخرج، سال الزبد من جانب فمه يليل لحيته المهوشة.. أخذ يحملق بذهول في وجوه الناس التي تحلقت حوله.. صرخ فيه أحد البائعين بقسوة:



- ما تغور من هنا يابن المرة، العيال مش عارفه
تشتري من وش أمك العكر.

بقي المجدوب ثابتًا في مكانه حينًا من الدهر.. ثم
فجأة رفع كفيه ومسح وجهه بأصابعه شديدة الإتساح،
فازداد سواد وجهه تَلَطُّخًا.. إغتاظ الناس منه فصرخ
أحدهم:

- مين الجدع المجنون ده؟.

- أهي بلاوي بتتحدف علينا، محدش عارف له أصل.

- بيقولوا انه كان متجوز واحدة وخانته فدماغه طارت.

- ياعم جواز إيه وحب إيه في الزمن الأغبر ده!؟.

- عندك حق، أنا سمعتهم بيقولوا انه كان غني وخسر
كل فلوسه في البورصة.

- بورصة مين يا عمنا، هو لسه في بورصة؟.

- لا يا جدعان، دول بيقولوا انه كان معتقل سياسي.

انفعل أحد الباعة وصرخ بحدة:

- لا سياسة ولا بتنجان، إحنا عاوزين ناكل عيش.

أنهى عبارته ثم سحب عصا غليظة من أسفل فرشته،
توجه نحو المجدوب يهيم بضربه على رأسه..



إنبرى شخص من بين الزحام، أمسك بيد البائع في قوة فتوقف الأخير ونظر نحوه بإحترام واضح.. ثم تمتم في صوت خفيض:

- لا مؤاخذة يا حاج نبيل، الرجل ده قارفنا. مش عارفين ناكل عيش من وقفته دي.

ألقى "نبيل البغدادي" بالعصا الغليظة بعيداً ثم صاح بصوت مرتفع:

- سيبوه، ده معايا.

إنفض الجمع على الفور بعد سماعهم لصيحة "نبيل"، الذي إقترب من المجدوب في هدوء.. ربت على كتفه ثم منحه إبتسامة رائقة وقال:

- عاوز إيه؟.

لم يرد المجدوب، وأخذ يحملق في وجه "نبيل" بذهول.. أمسكه "نبيل" من ذراعه، واقترب به من البضائع المفروشة على الأرض.. تهلل وجه المجدوب في فرح، مد يده نحو واحدة منها.. تناول علبة كرتونية، فتحها ينظر لدودة القز القابعة بداخلها.. إحتضنها كأنه يحتضن عزيزاً له.. أوماً "نبيل" برأسه ثم نقد البائع ثمن العلبة.. غادر المجدوب المكان بعنف، تماماً كما أتى..



لمعت الدموع في عين "نبيل" أو "بلبل" كما كان يناديه أصحابه.. ووقف من بعيد يتأمل المجدوب وهو يداعب دودة القز داخل العلبه، بدا كأنه يلاطفها ويحدثها حديثًا لا يفقهه سواهما.. سالت دموعه بعد أن تتابعت في عقله ومضات خاطفة، كأنها لقطات لشريط سينمائي.. تروي قصة هذا المجدوب وهو يهبط درجات سلم الحياة، رويدًا رويدًا، ببطء شديد..

كان كورقة شجر يابسة تلاعبت بها رياح الشتاء القاسية، فرفعتها إلى الأعلى.. لكنها برغم هذا الإرتفاع كانت تنطق بذلك الهبوط الحتمي المقدر عليها.. حتى توسدت الثرى ودهستها الأقدام..

رفع المجدوب رأسه عن دودة القز ثم التفت نحو "بلبل"، ابتسم له ابتسامة عريضة..
رماه بنظرة طويلة، شاردة.. كانت خالية من أي أثر للحياة..

.. "تمت بحمد الله" ..

القاهرة ٢٨ سبتمبر ٢٠١٦

منتصر أمين

٢٦٦

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



إلى معتز أمين..
إلى من علمنى كل شىء..
أرجو أن تكون فى عالم أفضل..



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب



شتاء أخير

يكون للكلمات وقع السحر في العقول حين يغوص القارئ في أعماق الحكاية، ويرى شخوص الرواية تتحرك أمامه كأنها واقعا يعيش أحداثه.. حين ينجح الكاتب في تحويل الوهم إلى حقيقة.. في إطار من السرد المتقن البسيط والحبكة الدرامية المشوقة تصحبنا هذه الرواية إلى مفاجات أكثر بكثير مما يمكن توقعه.. رواية تفتح الجانب الأكثر إظلاماً لأعماق النفس البشرية.. عن الرغبة الإنسانية الجامحة، وما يحيطها من شر محدد.. عن الحب والخيانة والموت، الحيرة أمام ما لا نستطيع تفسيره.. حين تبدأ بقراءة هذه الرواية لن يكون بإمكانك تركها قبل أن تطوي صفحتها الأخيرة..



عمل منتصر أمين كمحام سنوات عديدة قبل أن يبدأ في كتابة الروايات.. تخرج من كلية الحقوق جامعة الإسكندرية، عام 1995.. صدرت له من قبل (4) طبعات من روايته "الطواف" عام 2014.. وصدرت له في عام 2015 رواية "يحيى" صحف أخرى.. نشر له العديد من المقالات الأدبية في أكثر من مدونة وموقع الكتروني ثقافي.

تصميم الغلاف : محمد إبراهيم

